

شفاء الذمم

من اتهام المسلمين للنبي الأَظَم

النيل عبد القادر أبو قرون







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا
بِرَسُولِهِ...﴾ (١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ...﴾ (٢)

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا
أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾ (٣)

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة المجادلة ، الآية : ٩ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٨٦ .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مفتتح

الحمد لله الذي بنور تجلياته أظهر الأكوان ، وأبدع نسقها في أكمل صورة بحسن وإتقان ، رفع السماوات بغير عمد وعمرها بالنجوم وزينها بالكواكب ووضع الميزان ، وبارك في الأرض وقدر فيها أقواتها وجعل خلافته فيها للإنسان .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحنان المنان ، الذي جعل الظلمات والنور للتبيين ، ولم يترك الإنسان سدىً دون توضيح طريق الحق وطريق الخذلان ، فأرسل رسله مبشرين ومنذرين في كل الأزمان ، وختمهم بأفضل رسله محمد بن عدنان . فعظمه وأكرمه وأحبّه وشفّعه في الدار الحيوان ، وصلى عليه هو وملائكته وأمر بالصلاة عليه أهل الإيمان .

اللهم صل وبارك عليه وآله صلاة تدخلنا بها في زمرة أحبابه ، وتؤهلنا بها لخدمة جنابه ، وتمكننا بها من تعرية الباطل واجتنابه ، وتبين قدره الشريف الذي أنزله الله في كتابه ، وأن لا شريك له في أداء رسالته ، وأن لا نبي بعده .

فبالله نقول إنّ الذي جاء بالرسالة لا يمكن أن يكون إلا مثلاً الأعلى ، ولا يرى كمالها إلا منه ، ولا يُفسّر ما غمض منها إلا بفعله أو قوله ، ومُحال أن يكون غيره أعرف منه بشيء

منها صَعُرَ أو كَبُرَ ، فلا يؤخذ تفسيراً أو تأويلٌ من أي أحد فيما بُعِثَ وأُرْسِلَ به صاحب الرسالة أثناء وجوده . وفي حضرة صاحب الرسالة المعظم لا يحق لامرئ أن يفسر أو يؤول القرآن ، أو يتهم الرسول في صحة علاقته بربه . والقول بغير ذلك اتِّهَامٌ لصاحب الرسالة المعظم في أدائه لها بنقص في العلم أو خطأ في السلوك ، وذلك يعني أنه ليس هو المرجعية فيما أرسل به من ربِّه!! وهو أقرب لقول القائلين ﴿لَسْتَ مُرْسِلاً﴾^(١) وتنتفي بذلك المرجعية في الدين ، لأنه لن يكون لها ضابط ، إذ أن الضابط هو علاقة الرسول بالمرسل . أما غيره فلا يوجد لديه ما يَسْتَنِدُ إليه على صحّة ما يدّعيه إلا إذا كان شريكاً في الرسالة فيستند إلى المصدر نفسه ، وهذا مُحال . فالله سبحانه قد اختار رسوله المكرّم وفضّله على غيره ، ولا شريك له فيما بعثه به ولا أفضل منه ، ولا يماثله بشر ليصحّحه فيما بُعِثَ به . وأسند إليه الأمر كُلّه - قال تعالى ﴿... فَلَا يُنَازِعُنَكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢) . كما أنه يستحيل أن يستند غيره في ما يدعيه إلى من أرسل الرسول أو إلى الرسالة ، دون أن يكون شريكاً في الرسالة وهو المحال لأن ذلك يعني الشك في علاقة المرسل بمن أرسله ، وأنه ليس هو الأفضل عنده في القيام بهذه الرسالة ، وهو الشك في اختيار

(١) سورة الرعد ، الآية : ٤٣ .

(٢) سورة الحج ، الآية : ٦٧ .

الله للأفضل لأداء رسالته!! كما أن الغير نفسه - بعد الإيمان- مُطالب بالإتباع للنبي صلى الله وبارك عليه وآله من قبل المرسل لا بمنازعته التي تحبط الأعمال ولو بمجرد رفع الصوت ، فالإيمان بالرسول صلى الله وبارك عليه وآله ، والقبول بكل ما يقول ويفعل ، والتسليم الكامل ، هو مطلب الحق من عباده الذين آمنوا ؛ قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾^(١) وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ . . . ﴾^(٢) لأن الرسول هو الذي يُخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور . قال تعالى ﴿ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾^(٣) . ولا يدانيه في علمه وعقله وفضله وأخلاقه أحد فهو أشرف الخلق وأكرمهم عند الله .

انطلاقاً من هذا ، فإنه لا يوجد مجال لمقارنة فعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله أو قوله ، بفعل أو قول شخص آخر لرؤية أيهما أفضل!! فإن الذي اختاره الله لأداء رسالته لا يمكن أن يوجد من يوازيه أو يدانيه في فعل أو قول أو خلق أو خلق أو علم ، فلا يوجد مجال لمقارنة أصلاً . فإن وُجد أثر يقول بغير

(١) سورة محمد ، الآية : ٣٣ .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة الطلاق ، الآية : ١١ .

ذلك ، فقد وجب النظر في هذا الأثر المريب ، والبحث والتدقيق لمعرفة الدسّ وسوء القصد وإبطاله ، لالتقاء الهلاك من الوقوع في القدر الشريف . ولا يمكن أن تُعمَّض عليه الأعيُن بحجة أن هذا ما وجدنا عليه السَّلف . وليس كل ما كان عليه السَّلف محموداً . ولو كان السَّلف لا يُخطئون لما احتاجت الأمم إلى إرسال الرُّسل تترا . فالتقديس لما عليه السلف وإعطاؤه العصمة ، وتحريم نقده ورفض تغيير ما لا يصلح منه إلغاءً للعقل ، وتحجير على الله بوقف فضله عليهم . فمن هذا الذي حَكَمَ على الله وأفتى بأنَّ فضل الله وعطاءه انتهى عند السلف ولم يبق له شيء؟

ولا عِبْرَةٌ بما كان عليه السلف إذا جاءوا بما يُخالف كتاب الله وعصمة الرسل صلوات الله عليهم ، فالفهم غير مقدّس والسلف ليسوا معصومين .

ولكن هناك مَنْ يرون في هذا الطرح خروجاً وهدماً لقواعدهم المؤسسة على فهم من سبقهم وفتاواهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...﴾^(١) كأن ما مر عليهم من الزمن أعطاهم نوعاً من القداسة والعصمة!! والتعصُّب هو الداء الأكبر والعدوُّ اللدود لحرية الفكر التي دعا إليها نبيُّ الرحمة صلى الله وبارك عليه وآله وأنزلها الله في كتابه . والتعصب هو المُفْضِي

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٠٤ .

إلى العُنف لا إلى السلام الذي هو الغاية من الرسالات ؛ بينما تعريف الناس بالله هو الأصل في الرسالات ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾^(١) فالنبي صلى الله وبارك عليه وآله عندما فتح مكة لم يفرض عليهم الإسلام ولا الجزية على من رفض الإسلام ، بل تركهم طلقاء ، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وكان ممن حضر ذلك وسمعه أبو سفيان وابنه معاوية لذلك لا يستطيع أحد أن يجزم أنّ كل من حضر آنذاك وسمع قول النبي قد نطق بالشهادة وصار صحابياً! ولم يقتل النبي صلى الله وبارك عليه وآله في فتح مكة أحداً بل تبرأ مما فعل خالد بن الوليد لقتله بعض كفار مكة وقال «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»^(٢) . حتى الدعاء على المشركين أبي أن يفعله حينما طلب منه أصحابه ذلك وقال «لم أبعث لعناً وإنما بُعثتُ رحمة»^(٣) . ومن هنا كان وجوباً إعادة النظر فيما وجدنا عليه آباءنا في ما نُسب إلى الذات الشريفة المحمدية من تهم . والمرجعية في ذلك هي ما أنزل الله ، وشخص النبي الكريم الذي فضّله الله ليس على من كان في عصره فقط ، بل على الخلق أجمعين ، ومدحَه بالخلق العظيم ، ووصفَه بالرحمة

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥ .

(٢) صحيح البخاري .

(٣) صحيح مسلم .

للعالمين ، وأرسله ليعلم الناس الكتاب والحكمة . فلا فعل أفضل من فعله ولا قول أحسن من قوله ولا ذات أفضل من ذاته . ولا يدانيه أحد من الخلق في صفة من خلقه وخلقه وعلمه صلى الله وبارك عليه وآله الحبيب الأعظم .

ولقد حملت المصادر الإسلامية ما لا يمكن السكوت عليه من تهم في حق رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله وقد أوجب عليّ خطر السكوت عنها تبيانها وإيضاحها والتصدي لمن يعتقدونها بإبراز الحق والحجة البالغة في كتاب الله تعالى لعل في ذلك تنبيه لمن سمعها وقبلها وهو غافل ، وتبصير لمن أخذها عن شيخ كأنها أمر من أمور الدين يجب أن يأخذه كما هو دون سؤال أو تمحيص بحجة أنه في المصادر الإسلامية ، ودعوة لمن كانت هذه الاتهامات سبباً لخروجه عن الإسلام . وعلى الله قصد السبيل .

(١)

الاتهام في مسألة أسرى بدر

قال تعالى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا...﴾ (١).

اللقاء هنا - ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ -

مقصود به الحرب ولا شئ غيرها وهي لا تكون إلا ضد المعتدين . والكفار والمشركون معتدون بطبعهم على حرية الفكر والدين ، ويصرون على منع الناس من اختيار مُعتقد أو ترك مُعتقد ، بل يعتدون على أصحاب الفكر والإصلاح ، فيسخرون منهم ويستهزئون بهم وربما قتلوهم كما حصل لأنبياء الله على مر الدهور . فجاء الأمر الإلهي ليبين كيفية الحرب عليهم - ﴿... فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ...﴾ (٢) - والإثخان في الحرب هو إيصال العدو إلى حالة الإنهاك بحيث يقوم بعض أفراده بتسليم أنفسهم أسارى خوفا من القتل ، أو أن يقوم الصف المنتصر بأسرهم بفعل حالة

(١) سورة محمد ، الآية : ٤ .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٤ .

السيطرة في ساحة المعركة ، ولهذا فالمطلوب من المسلمين اللجوء إلى أسر الكفار المنهزمين ، لا الاستمرار في قتلهم ، وضرب الرقاب . إذ ليس المقصود من الحرب في الإسلام الإبادة للعدو بل النصر عليه ، فإذا بان النصر وأتخنوا العدو - ﴿... حَتَّى إِذَا أَتَّخَذْتُمُوهُمْ...﴾ - على المسلمين بعد ذلك اللجوء إلى أسر المنهزمين ، وهو قوله تعالى ﴿... فَشُدُّوا الْوَتَاقَ...﴾ وهو الأسر . فالله سبحانه قد أمر بالأسر في الحروب لمنع إبادة الأعداء المنهزمين - ولكن بعد الإثخان - لأن الأسير لا يقتل ، وَمَنْ أُسِرَ وَجَبَّتْ مَعَامَلَتُهُ بِالْحُسْنَى ، لا القتل ، لأن مكان القتل هو ميدان المعركة . وقد بين الله سبحانه وتعالى معاملة الأسرى بعد المعركة - ﴿... فَأِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً...﴾ فلا وجه لقتل أسير في الإسلام ، بل تَجِبُ مَعَامَلَتُهُ بِرِفْقٍ وَإِحْسَانٍ . ولم يمدح الله سبحانه قَتْلَةَ الأسرى ولم يأمر بقتل الأسرى ، ولكنه قد مدح الذين يُحْسِنُونَ إِلَى الْأَسِيرِ ، وَوَصَّفَهُمْ بِأَنَّهُمْ مِنَ الْمُحِبِّينَ لِلَّهِ بِذَلِكَ السُّلُوكِ ؛ قال تعالى ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾^(١) . وأمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بمخاطبة أسرى بدر ودعوتهم إلى إحسان السريرة التي يتبعها إحسان التعامل كي يغفر لهم ، لأن الدين المعاملة . فإن من حسنت سريرته حسنت أخلاقه وتعامله ، وكان أهلاً ليغفر الله

(١) سورة الإنسان ، الآية : ٨ .

له ، لأن صالح الأخلاق هي التي بعث النبي صلى الله وبارك عليه وآله ليتممها ، ومن أجلها كانت البعثة . وهو أمر تجاهله أو جهله الكثير من يتصدون للحديث عن الإسلام ، فالحديث عن الأخلاق وحسن التعامل هو الأقل حظاً عند كثير منهم ، لأنهم أخطأوا أو جهلوا أو تجاهلوا لماذا بعث محمد صلى الله وبارك عليه وآله ، فيميلون لدح من غلظ طبعه وخشن تعامله وخاطب الناس بالعصا . ولم يأمر الله سبحانه وتعالى النبي بسوء معاملة الأسرى الذين جيء بهم إليه ، ولا حتى بغليظ القول ، ناهيك عن قتلهم فالله سبحانه أمر النبي بمخاطبة الأسرى ولم يأمره بقتلهم فكيف يقال أنه عاتبه في عدم قتلهم فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١) وهذا هو أسلوب الدعوة إلى الإصلاح الذي جاء به نبي الرحمة ولم يأمره سبحانه بقتل من في أيديهم من الأسرى إذا لم يقولوا «لا إله إلا الله»! ولم يأمر كذلك المشركين بمكة بعد أن هزمهم وفتحها بأن يقولوا «لا إله إلا الله» بل تركهم طلقاء ، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، وكان منهم أبو سفيان ومعاوية ابنة فما أعظمها من رسالة وما أعظمه من نبي!

فهو الرحمة المهداة للناس كافة ، صلى الله وبارك عليه

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٧٠ .

وأله ، والمؤسس لحقوق الإنسان سواء كان هذا الإنسان حياً أو ميتاً و بغض النظر عن دينه وجنسه ، فقد وقف حينما مرت به جنازة فقيل له إنها ليهودي ، فقال صلى الله وبارك عليه وآله «أليست نفساً»^(١) . . . وقيل له يا رسول الله أَدع على المشركين قال «إني لم أبعث لعاناً وإنما بعثت رحمة»^(٢) . فإذا كانت بعثته صلى الله وبارك عليه وآله لا يوجد فيها متسع للدعاء على المشركين فكيف يكون فيها من القسوة والغلظة ما يصل إلى قتل الأسرى الذين هم أحوج الناس إلى الرحمة التي يمثلها محمد رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله .

والقتل والأسر لا يُباشره إلا المحاربون في الميدان ، الذين قد لا يلتزمون بما لديهم من أوامر من القيادة العليا ، كما فعل الأصحاب في معركة أُحُد ؛ حيث أمر النبي الرماة ألا يتركوا أماكنهم وإن تخطَّفَهُم الطير «جعل النبي صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم أُحُد وكانوا خمسين رجلاً عبد الله بن جبير فقال إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم وإن رأيتمونا هزمننا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»^(٣)

فهل التزم الصحابة المقاتلون هنا بأمر النبي؟ كلا ثم كلا .

(١) صحيح البخاري .

(٢) صحيح مسلم .

(٣) صحيح البخاري .

فلم يلتزموا بالأمر بل خالفوه صراحة وعصوه وأثبت الله ذلك في كتابه قال تعالى ﴿... وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ...﴾^(١) رغم تشديد النبي عليهم بقوله «وإن تخطفنا الطير!» وكان هذا هو السبب المباشر في هزيمتهم في معركة أُحُد. وقبل ذلك في معركة بدر حدّد النبي صلى الله وبارك عليه وآله موضع مصارع من سمّاهم من المشركين ، ولم يأمر بعدم قتل أحدٍ سوى العباس رضي الله عنه «عن بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر ثم من لقي منكم العباس فليكفف عنه فإنه خرج مستكرها»^(٢) ولكن ماذا فعل المقاتلون في الميدان؟ لقد سارعوا إلى أسر الكفار حينما لاحت بوارق النصر وهزيمة المشركين لأن في الأسر فائدة مادية للأسر ، إذ له سلب المأسور وما عليه وعتاده . . ففضلوا الأسر لأجل الغنائم!!

فهل فهموا من تحديد النبي صلى الله وبارك عليه وآله لمصارع القوم أنه أمر بأسرهم؟ والإجابة واضحة ، فقد كانت إشارة من النبي صلى الله وبارك عليه وآله ليثخنوا العدو في المعركة لا ليأتوه بالأسرى ، كما أن استثناء العباس من القتل فيه إشارة أيضاً إلى الإثخان إذ لم يستثن غيره ، ولكن الصحابة المقاتلين فضلوا الأسر وشد الوثاق قبل الإثخان ، ولم يلتزموا

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

(٢) المستدرک علی الصحیحین .

بالتوجيه النبوي ، ولا بالأمر الإلهي ، الذي هو ضرب الرقاب حتى الإثخان (النصر) ، وليس الأسر قبل ذلك . فجاءت المؤاخذة عليهم من الله سبحانه وتعالى ﴿... تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا...﴾^(١) ، وعَرَضَ الدنيا هنا هو ما يعود على الأسر من الفائدة المادية من المأسور من سلبه وماله وما عليه ، وهي الغنائم إذ أنهم لم يراعوا ما أشار إليه المعلم القائد ، كما لم يراعوا ما قال لهم صراحة بعد ذلك في معركة أُحُد ، حينما أمرهم بصريح العبارة أن لا يغادروا مواقعهم ؛ فخالفوه وعصوه ولم يلتزموا رغم قوله «وإن تخطفنا الطير»! فجاءت الآية الكريمة مؤاخذة لهم ومبينة عصيانهم ﴿... وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَأَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ...﴾^(٢) .

وهنا في معركة بدر فإن الخطاب موجّه للذين سارعوا إلى الأسر قبل الإثخان فقال لهم ﴿... تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ...﴾^(٣) وليس خطاباً موجهاً للنبي صلى الله وبارك عليه وآله وإلا لكان الخطاب للفرد ﴿... تُرِيد...﴾ . فكانت المؤاخذة لمخالفتهم لما أشار إليه النبي صلى الله وبارك عليه وآله .

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٦٧ .

ولا يمكن أن يُفهم من الآية أن تكون المُواخِذَةُ كما قالوا موجهة للنبي صلى الله وبارك عليه وآله ، وذلك لأنه يتعين في هذه الحالة أن يكون علمه بوجوب قتل الأسرى سابق للحدث لقوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾^(١) وهو علم ينبغي أن يكون مُكْتَسَباً بوحي مُسبق أي أنه - كما يشيرون في الحديث - كان يعلم من الله قبل الحرب أن الأنبياء صلوات الله عليهم يقتلون الأسرى ولا يقبلون الفداء ؛ ورغم ذلك تصرف هو بخلاف ذلك . فتكون المُواخِذَةُ لتصرفه بعكس ما لديه من علم أُوحي به إليه سابق للحدث بأن أنبياء الله يقتلون الأسرى!! وهذا ما يُفهم من تفسيرهم للآية!!

ولو كان الأنبياء يقتلون الأسرى والنبي يعلم ذلك لما كان هناك سبب لاستشارة أبي بكر وعمر وعلي عن الأسرى كما جاء في الحديث لأنه لا حاجة لرأيهم حينئذ . ولا يمكن لمسلم أن يقول إن النبي المعصوم صلى الله وبارك عليه وآله لا يلتزم بما أُوحي إليه ويتصرف بعكسه مُخالفاً لربه الذي اختاره من بين خلقه - لأنه أشرفهم وأعلمهم - ليُرسِي قواعد الشرع للإنسانية كافة ثم يخالف سنن الذين سبقوه من الأنبياء!! ﴿ ... إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾^(٢) والواقع أن النبي صلى الله

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٧ .

(٢) سورة الأحقاف ، الآية : ٩ .

وبارك عليه وآله لم يأمر المحاربين بأسر المشركين . فكيف يؤاخذ بأن يكون له أسرى وهو لم يأمر المقاتلين بالأسر أصلاً؟ والفرق كبير بين أن تأسر محارباً يريد قتلك وأن تقتل أسيراً لا حول له ولا قوة ولم تكن لك يد في أسره! والمؤاخذة في الآية تتعلق بأسر المحاربين لا بقتل المأسورين وشتان بين الأمرين ، فالأسير ينظر إلى الرحمة والمحارب ينظر إلى القتل .

ثم ماذا كان بعد أن انتهت المعركة بصورتها غير المرضية من حيث أن المحاربين خالفوا ما أشار إليه النبي صلى الله وبارك عليه وآله وسارعوا إلى الأسر قبل الإثخان وجاءوه بسبعين أسيراً؟ الحديث يوضح أن عمر كان شديد الحرص على قتل الأسرى فلماذا إذا لم يقتلهم في الميدان قبل الإتيان بهم لرسول الله؟ ولماذا لم يقتل على أقل تقدير قريبه الذي استأذن رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في قتله فإن ساحة الحرب هي محل القتل؟!

لقد أخذ الأسرى إلى المدينة ليُعاملوا كما تجب معاملة الأسرى ، لا ليُقتلوا ، لأن الميدان هو مكان القتل والحرب . والذي ينبغي في التعامل معهم هو ما أمر به الله سبحانه وتعالى : ﴿... فَإِمَّا مِّنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً...﴾^(١) وهذا هو الخلق المحمدي فقد كان صلى الله وبارك عليه وآله خلقه القرآن . وهو المبعوث رحمة للعالمين وليس للمسلمين فقط ،

(١) سورة محمد ، الآية : ٤ .

ففعّل النبي صلى الله وبارك عليه وآله كله حق لأنه حق ولا يصدر من الحق إلا الحق ، قال تعالى ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ... ﴾ (١) ﴿... فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ... ﴾ (٢) فالأسير مصيره الإفراج عنه عاجلاً أو آجلاً ، إما امتناناً عليه وتركه حُرّاً دون قيد أو شرط وإما مقابل فدية يلتزم بها هو أو أهله يفدي بها نفسه ، كما جاء في الآية الشريفة مع وجوب حسن معاملته .

على ضوء ما ذكرنا لننظر إلى ما جاء في كتب الحديث وهل يوافق ما جاء في كتاب الله ويتناغم مع النهج المحمدي الذي هو ترجمة للقرآن في الحروب والأسرى؟ جاء في مسند احمد بن حنبل «عن ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : «لما كان يوم بدر... فهزم الله عز وجل المشركين فقتل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً ، فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعلياً وعمر رضي الله عنهم ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب؟ قال : قلت : والله ما

(١) سورة آل عمران ، الآية ٨٦ .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٣٢ .

أرى ما رأى أبو بكر رضي الله عنه ، ولكنني أرى أن تمكيني من فلان - قريبٌ لعمر- فأضرب عنقه ، وتُمكن علياً رضي الله عنه من عقيل فيضرب عنقه ، وتُمكن حمزة من فلان - أخيه - فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هواده للمشركين ، هؤلاء صنائدهم وأئمتهم وقادتهم . فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قلت ، فأخذ منهم الفداء فلما أن كان من الغد قال عمر رضي الله عنه : غدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو قاعد وأبو بكر رضي الله عنه وإذا هما يبكيان فقلت : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الذي عرض علي أصحابك من الفداء لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة ، وأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى لَهُ حَتَّى يَتُخَنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ . . . ﴾^(١) من الفداء ، ثم أحل لهم الغنائم فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكسرت

(١) سورة الأنفال ، الآيات : ٦٧ ، ٦٨ .

رباعيته وهُشِّمَت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه ،
وأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى ﴿ أَوْلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ
مِثْلَهَا... ﴾ (١) الآية بأخذكم الفداء .

الحديث يقول إن عمر بن الخطاب أشار إلى النبي صلى
الله وبارك عليه وآله بقتل الأسرى وهو أمر لا يُقرُّه الله سبحانه
في كتابه ، ولا النبي صلى الله وبارك عليه وآله في سنَّته
وشرعه ، وهو أعلم الخلق بالله ، وبكتاب الله ، وكيفية الدعوة
وأسلوبها . لأنه لا يتبع إلا ما يوحى به إليه . فهو معصوم من
إتباع الهوى . ثم إن قتل الأسرى لا ينفي وجودهم كأسرى قبل
قتلهم! وليس قتل الأسرى بعد الحرب هو الإثخان لأن الإثخان
يعني الغلبة والسيطرة في الميدان قبل الأسر ﴿ حَتَّى إِذَا
أَتَخَنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ ﴾ (٢) وليس بعد الأسر . والمؤاخذة
الإلهية إنما كانت في المسارعة إلى أسرهم وليس في عدم قتلهم
بعد الأسر ولا توجد إشارة في الآية لقتل الأسرى بل الإشارة
إلى اتخاذ الأسرى قبل الإثخان . ولم يكن توجيه النبي صلى
الله وبارك عليه وآله وما أشار به للمحاربين هو أن يأتوه بأسرى ،
الذي هو محل المؤاخذة من الله سبحانه في هذه الآية .

نجد أن الذين أشار عمر بقتلهم وقال هم أئمتهم
وصناديدهم وقادتهم هم : العباس - الذي أمر النبي بأن لا

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٥ .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٤ .

يُقتل قبل المعركة - وقد يكون لعلمه صلى الله وبارك عليه وآله بإخفائه إسلامه ، رغم أنّ فعل النبي لا يحتاج منّا إلى تبرير بل يُقابل بالطاعة التامة والتسليم الكامل لقول الله تعالى ﴿... وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١) ومنهم عُقَيْلُ أَخُو عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فهل هؤلاء هم أئمة الكفر وصناديدهم وقادتهم؟ هؤلاء بنو هاشم - عم النبي وابن عمه . ويريد عمر- كما جاء في الحديث - أن يقوم حمزة رضي الله عنه بقتل أخيه العباس الذي أمر النبي المحاربين بعدم قتله ؛ وعمر يعلم ذلك الأمر . ويقوم علي عليه السلام بقتل أخيه عقيل رضي الله عنه . ورجل آخر لم يسمّه الحديث يريد عمر قتله بنفسه! هل هؤلاء هم كلّ أسرى بدر؟ لماذا اقتصر الحديث على هؤلاء الثلاثة؟ فهل قتل هؤلاء هو الرحمة التي جاء بها نبي الرحمة صلى الله وبارك عليه وآله؟

يريدون أن يُظهروا في الحديث حرص عمر بن الخطاب على قتل المشركين في قوله «حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم» وهذا قول مردود ، فالحرص على القتل يكون في الحرب لا بعد الأسر ، فقد بينّا كيف يُعامل الأسير في الإسلام . أما علمُ الله بما في القلوب فليس الله سبحانه وتعالى بحاجة إلى أحد ليبينه له بِعَمَلٍ ظَاهِرٍ! لأنه جلّ جلاله ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٦ .

الصُّدُورِ ﴿١﴾ والقول بأن «هؤلاء صنّاديدهم وأئمتهم وقادتهم» قول غير صحيح ، إذ ليسوا هم كذلك! فلم يُذكر قط في أي مصدر من المصادر الإسلامية أن العباس وعقيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُم كانا أئمة الكفر وقادتهم وصنّاديدهم . ثم أين بقية الأسرى السبعين؟ ولماذا اقتصر الحديث على بني هاشم بأسمائهم وثالث لم يُسم؟ وأين رأي علي بن أبي طالب الذي ذُكر في الحديث أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله استشاره كما استشار أبا بكر وعمر ، ولماذا سُكِّت عنه؟؟؟

الحديث يدور حول افتراض صحة رأي عمر بن الخطاب في قتل الأسرى ، مقابل فعل النبي في عدم قتلهم! وهو يهدم التشريع المحمدي في الحروب في الإسلام في التعامل مع الأسرى ، ومخالف لكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة الرسول الأعظم صلى الله وبارك عليه وآله . ولا يقف الأمر عند هذا الحد : - مخالفة ما جاء في كتاب الله جلّ وعلا ، وسنة رسوله الأعظم صلى الله وبارك عليه وآله - بل يتعداه ليبين أن تصرف المعصوم وتشريعه في التعامل مع الأسرى كان خطأ يُحاسب عليه!! كأن هناك أحد الأنداد مُشرّع معه يمكن أن يصيب في أداء الرسالة ويخطئ النبي صلى الله وبارك عليه وآله في أدائها!!

ويصف الحديث النبي صلى الله وبارك عليه وآله بأنه ندم

(١) سورة هود ، الآية : ٥ .

على مخالفته لرأي عمر في أخذه الفداء من الأسرى ، وظل يبكي على ذلك ، فقال له عمر حينما وجده يبكي «يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما»^(١) وهذا يشير إلى أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله يمكن أن يكون بكاءه بلا سبب يستوجب البكاء في رأي عمر ، وإذا كان البكاء بلا سبب موجب له فلا يكون إلا تمثيلاً أو عبثاً ، وهل يكون ذلك من النبي صلى الله وبارك عليه وآله؟ إن في قول عمر «فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد . . .» يُرى فيه الشك في صدق بكاء النبي وفعله وفي هذه الحالة فإن عمر «يتباكى» لبكاء النبي وصاحبه - مجاملةً لهما - رغم عدم اقتناعه بوجود سبب لبكائهما («وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما»)!! وتوجيه السؤال لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله بهذه الصورة لا يستقيم مع التعظيم لشخصه الكريم «ماذا يبكيك أنت وصاحبك؟»! فرد النبي صلى الله وبارك عليه وآله على عمر «لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة» وكلمة «لشجرة قريبة» قطعاً هي ليست من كلام النبي صلى الله وبارك عليه وآله وكذلك ما تلاها من الحديث . فهل تصرّف المعصوم صلى الله وبارك عليه وآله بغير أمر الله سبحانه ليعاقبه الله («عوقبوا بما صنعوا يوم بدر») على تصرّفه؟ ويستمر

(١) صحيح مسلم .

الحديث فيقول «وأنزل الله عز وجل ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ
أَسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ﴾ . . . إلى قوله : ﴿لَوْلَا كِتَابٌ
مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ . . .﴾^(١) من الفداء» ويبدو
جلياً في هذا الجزء من الحديث إلقاء اللوم على النبي المعصوم
صلى الله وبارك عليه وآله لقبوله الفداء واتهامه بالإخفاق في
صحة أداء رسالته!!! وهذا ما يرمي إليه الحديث كله!

من المعلوم أن الفداء يتم الإتفاق عليه مع الأسير أو يُفرض
عليه ثم يدفعه مما لديه من مال في عقبه ، أو يدفعه عنه أولياؤه
بعد ذلك . ولا يتوقع أن يكون مع الأسير شئ سوى جلده الذي
نجا به . لكن يلاحظ في الحديث كأن الفداء كان مع الأسرى
وأخذ النبي منهم وأصبح من الغد يبكي على ذلك!!! فقد
جاء في الحديث «ولم يهو ما قلت فأخذ منهم الفداء . ولما
كان من الغد . . . فإذا هو قاعد وأبوبكر يبكيان . . .» والأسير
لا يملك في أمر الفداء إلا الإتفاق على نوعية الفدية وقدرها .
فقد تكون عملاً يقوم به الأسير ، كما جاء في أمر هؤلاء
الأسرى أن منهم من كانت فديته أن يُعلم عدداً من أبناء
المسلمين!!! . ولا يقال أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله أخذ
الفداء فليس لدى الأسرى شئ يؤخذ إنما يمكن أن يُقال أنه قبل
الفداء الذي سينفذ لاحقاً . فالقول بأنه «أخذ منهم الفداء» لا
يصح أصلاً .

(١) سورة الأنفال ، الآيات : ٦٧ ، ٦٨ .

الأرجح في تفسير ﴿... لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ...﴾^(١) إما أن يكون ﴿... فِيمَا أَخَذْتُمْ...﴾ من الأسرى قبل الإثخان - فما كان ينبغي لهم أن يأخذوا أسرى قبل أن يُثخنوا العدو- وإما أن يكون ﴿... فِيمَا أَخَذْتُمْ...﴾ من عرض الدنيا وهو ما كان لدى الأسرى من عتاد ومتاع وهي الغنائم حيث جاء بعدها ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢). وفي كلا الحالتين ، يقع اللوم على الصحابة ، لا على النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، إذ يستحيل أن يقع عليه اللوم لقول الله تبارك وتعالى ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾^(٣). فقد جاء في الحديث «ثم أحل لهم الغنائم» والغنائم هي التي كانت السبب فيما كان من التوبيخ الإلهي في المسارعة في الأسر لأنها ﴿... عَرَضَ الدُّنْيَا...﴾ ولولا أن رحمة الله سبقت غضبه ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ...﴾ لكان العقاب والعذاب واقع بهم لا محالة فيما أخذوه منها ﴿... لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ولكن ﴿... وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ...﴾^(٤) فإن الله سبحانه أخذ العهد على نفسه ألا يعذب قوماً فيهم رسول

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٨ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٦٩ .

(٣) سورة الذاريات ، الآية : ٥٤ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٣٣ .

الله صلى الله وبارك عليه وآله -وقد يدخل في هؤلاء من كان محمد في قلبه بالحب أكثر من والده وولده- فشملتهم الرحمة التي يمثلها محمد نبي الرحمة صلى الله وبارك عليه وآله فأحلَّ لهم الغنائم لأجله ، ولم تحل لنبي قبله ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ...﴾^(١) .

أما قبول الفداء من الأسرى فقد بينه الله في مُحكم تنزيهه ﴿... فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً...﴾ ، وليس الفداء هو الغنائم ، والآيات تتحدث عن أخذ الغنائم لا عن قبول الفداء الذي أوجب الله التعامل به مع الأسرى ، كما قال تعالى في مُحكم تنزيهه ﴿... فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً...﴾ . فلا مجال للطعن في قبول الفداء من الأسرى ، وهو الذي فعله النبي صلى الله وبارك عليه وآله كما أمره الله تعالى . والقول بغير ذلك يخالف صريح القرآن وفعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله .

فالمخالفة والمؤاخذة إنما كانت على الصحابة في المسارعة للأسر لأخذ الغنائم ، لا على النبي صلى الله وبارك عليه وآله في تعامله مع الأسرى متبعاً ما يوحى به إليه في قبول الفداء . ولينظر المسلم أين هو من نبي الله المعصوم!! ولنقرأ الآيات المذكورة في الحديث متتالية ليتضح أنّ المقصود بها في المؤاخذة هم الصحابة في تسرعهم للأسر من أجل الغنائم لا النبي في

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٦٩ .

قبوله الفداء . قال تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ﴿ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

أما الآيات التي تليها مباشرة فهي التي تخاطب الرسول صلى الله وبارك عليه وآله فيما يتعلق بالأسرى الذين أتى بهم المحاربون إلى نبي الرحمة صلى الله وبارك عليه وآله . قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ . . . ﴾ ﴿ من الغنائم ﴾ ﴿ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿ وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢) وهذه توضح أسلوب التعامل مع الأسرى وهو مخاطبتهم ومقابلتهم بالرحمة التي لم يكونوا يعرفونها من قبل ؛ ومواساتهم بطريق الدعوة إلى الخير والصلاح ليغفر الله لهم ﴿ . . . إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ . . . ﴾ وهذه الدعوة جاءت بعد الذي أخذ منهم - لإصلاح سرائرهم - ليؤتهم الله خيراً منها . فنبى الرحمة إنما بعث ليتمم صالح الأخلاق . فإن استجابوا كان لهم من الرزق

(١) سورة الأنفال ، الآيات : ٦٩-٦٧ .

(٢) سورة الأنفال ، الآيات : ٧١، ٧٠ .

خيراً مما أخذ منهم من الغنائم وتتبعه المغفرة ﴿... وَيَغْفِرْ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . والله سبحانه وتعالى يبين لنبيه الكريم أن
الإفراج عن الأسرى هو الذي ينبغي أن يتم ، ولو كان الذين
يراد الإفراج عنهم يبيتون نية السوء والخيانة . ولا ينبغي أن
يكون ذلك سبباً في عدم الإفراج عنهم ، فالله سبحانه متكفل
بحفظ نبيه ، ولن تمكنهم خيانتهم من الإفلات إن فعلوا ﴿وَأَنْ
يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ
مِنْهُمْ﴾ (١) . فهذه الآيات هي التي تتعلق بأمر الأسرى وكان
الخطاب الإلهي فيها موجهاً للنبي صلى الله عليه وآله
ليتبع ما أوحى به إليه .

إنني لأعجب ممن يريدون أن يضعوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في مثل هذه المواقف بهذه الصورة ثم يقولون إنها من مناقبه!
فهل من المناقب مخالفة الرسول المعصوم وكتاب الله الحكيم؟
لكأني أرى أن هناك نهجاً وُضع في بعض الأحاديث يجيز عدم
احترام فعل رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم يُصوّب
الرأي المخالف ويخطئ النبي صلى الله عليه وآله - حتى
لا تكون هناك قداسة لفعله ورأيه وشخصه الكريم - ويُنسب
ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ويُقال إنه من مناقبه!! وفي
الحقيقة ليس هناك أسوأ من أن يوصف صحابي بمخالفة رسول
الله صلى الله عليه وآله ، لأن ذلك يخرج عن الصحة

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٧١ .

بل عن الإسلام جملة واحدة فالأمر الإلهي للذين آمنوا هو ﴿... وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(١). وهذا النهج من الأحاديث ، وإن وُضع في صورة مدح لعمر رَضِيَ اللَّهُ وإظهاره بالقوة والشدة ، فإنه حقيقةٌ قدح في حقه ووصف له بالمخالفة والحدّة . كما أنه يلغي عصمة النبي صلى الله وبارك عليه وآله وتقديس فعله وأمره وشخصه الذي فرضه الله على المؤمنين ، في قوله تعالى ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾^(٤) وقال تعالى ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^(٥). وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾^(٦).

فالحديث لا يرسى أي قاعدة فقهية إسلامية بل يهدم قاعدة حقوق الإنسان في أمر الأسرى ، وفي إدارة الحرب في الإسلام ، حيث ينبغي أن لا يسارع المحاربون إلى أسر الأعداء ،

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٥ .

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٤) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

(٥) سورة الفتح ، الآية : ٩ .

(٦) سورة محمد ، الآية : ٣٣ .

إلا بعد إثنانهم ولا يستمروا بعد ذلك في إبادتهم . فليس للحديث أي أهمية تشريعية في أمر الأسرى سوى تبيان مخالفة عمر لفعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، ومحاولة إظهار صحة تلك المخالفة ، ليكون فعل النبي هو الخطأ!! ولا أظن أن هناك صحابياً يفرح إذا وُصِف بأنه خالف النبي صلى الله وبارك عليه وآله!! ويستحيل أن تكون الصحة في مخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله . كما أن في الحديث مخالفة صريحة لكتاب الله سبحانه وتعالى فيما ينسب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث يقول الله سبحانه في أمر الأسرى ﴿... فَأَيُّ مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ...﴾ وعمر يقول بقتل الأسرى!!

قد ذكر أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله قال قبل بداية الحرب «من لقي منكم العباس فليكف عنه»^(١) فهل يا ترى ذكروا أن عمر رضي الله عنه لم يسمع بتوجيه الرسول القائد لجيشه قبل المعركة؟ إذ من المعلوم بالضرورة أن كل كلمة تصدر من القائد قبل المعركة تكون محل سمع واحترام وحرص من جميع المحاربين ناهيك عن أن القائد هنا كان رسولاً نبياً . وإذا كان هناك أمرٌ مُسبقٌ من النبي صلى الله وبارك عليه وآله بعدم قتل العباس في الميدان فكيف يقولون إن عمر رضي الله عنه أصرَّ على قتل العباس بعد أن أصبح أسيراً؟!!! وكما ذكرنا إن الحديث قُصِد به

(١) المستدرک علی الصحیحین .

تبيان صحة رأي عمر ، في مقابلة فعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله!!! وقد بين الواقع التاريخي عكس ذلك وأن أخذ الفداء كان هو الأصوب . فقد احتاج عمر رضي الله عنه في عهده بمن كان حريصاً على قتله اي العباس رضي الله عنه ليستسقي به فأنقذ الناس من القحط! فهل كان الأصوب غير ما فعله النبي صلى الله وبارك عليه وآله في قبوله الفداء؟ ولا نسوق ذلك دليلاً على الصحة بل الصحة فيما أمر الله تعالى وفعله النبي صلى الله وبارك عليه وآله .

وجاء في حديث آخر أن عمر قد أمعن في كتاف العباس بعد أسره حتى أنه كان يئنّ طول الليل ولم ينم رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله من أنين عمه العباس «روى بن عائد في المغازي من طريق مرسل أن عمر لما ولي وثاق الأسرى شد وثاق العباس فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم يئن فلم يأخذه النوم»^(١) . فهل المقصود أن يفهم من هذا أن في نفس عمر شئ من تمييز النبي صلى الله وبارك عليه وآله لعمه العباس في قوله «من لقي منكم العباس فليكفف عنه»؟ ولو افترضنا أن عمر لم يسمع من النبي الكف عن العباس ألا يوجد ممن سمع ذلك ليقول لعمر ما سمعه من النبي؟ ثم إنه ليس في هذا الفعل إذية للنبي صلى الله وبارك عليه وآله بلغت حد منعه النوم؟ وهل يراد من ذلك إدخال عمر في

(١) فتح الباري .

الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١)؟
ويستمر الحديث ليشمل معركة أحد فيقول «فلما كان يوم
أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم
الفداء»^(٢) والمقصود بكلمة «عوقبوا» هنا هو النبي صلى الله
وبارك عليه وآله ، فهو الذي أخذ الفداء كما جاء في الحديث!!
وَبُنِيَ الفعل للمجهول بصيغة الجمع حتى توارى فداحة المقولة
التي يستحي كل مسلم أن تجري على لسانه أو خاطره وهي
«عوقب النبي بما صنع يوم بدر من أخذ الفداء» «وكسرت
رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه
وفر عنه أصحابه» هذا القول كأنه شماتة على النبي صلى الله
وبارك عليه وآله لأنه أخذ برأي أبي بكر رضي الله عنه ولم يأخذ برأي
عمر كما قال «ولم يهو ما قلت» . فقد جاء في الحديث «فهوى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر رضي الله
عنه ولم يهو ما قلت ، فأخذ منهم الفداء» والرسول صلى الله
وبارك عليه وآله لا يتبع الهوى بل يتبع ما يوحى إليه . قال
تعالى ﴿... إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ...﴾^(٣) . والحديث
يقول إن النبي صلى الله عليه وآله وبورك عليه وآله تصرف بما يهوى!!!
فهل هذا نهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني؟!؟

(١) سورة التوبة : الآية ٦١ .

(٢) مسند أحمد .

(٣) سورة الأحقاف ، الآية : ٩ .

كما ذكرنا فإن السبب في هزيمة الصحابة في معركة أُحُد كان هو مخالفة وعصيان الصحابة المحاربين لأمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله وترك مواقعهم ، وليس قبول النبي للقداء من الأسرى في معركة بدر في السنة السابقة - الذي هو الحق من عند الله - لأن العقاب والعذاب إنما يكون بمخالفة أمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله لأن طاعته طاعة الله ، ومن أجل هذا جاء التحذير الإلهي من مخالفته ﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١) فكانت هزيمة الصحابة في معركة أُحُد نتيجة المخالفة للأمر المحمدي الذي حذرهم منه الله سبحانه وتعالى لأن أمر الرسول تجب طاعته جزماً دون تردد لأن طاعة الرسول لا تنفك عن طاعة الله لقوله تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾^(٢) . والآية التي ذكرت في الحديث تشير بوضوح إلى ذلك حين تُقرأ كاملة وهي ﴿أَوَلَمْ أَصَابْتَكُمْ مِصْبَةَ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنِّي هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) . فالخطاب الإلهي موجه إلى الذين كانوا يتساءلون ﴿... أَنَّى هَذَا...﴾ وحاشا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أن يكون هو المُعترض على الله فيما

(١) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٦٥ .

أصابهم ويقول لربه ﴿... أَنَّى هَذَا...﴾ ، فالتساؤل هو من الصحابة المحاربين الذين كانوا يتوقعون النصر كما كان في معركة بدر ، ويبدو من صيغته أنه موجّه من قبلهم للنبي القائد صلى الله وبارك عليه وآله كأنهم يتساءلون عن التدخل الإلهي لنصرتهم لأنهم يحاربون الكفار لنصرة دين محمد صلى الله وبارك عليه وآله .

فجاء الرد الإلهي عليهم في تساؤلاتهم ﴿... قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ...﴾ (مخالفتكم أمر النبي وترك مواقعكم) . لأن مخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله هي معصية الله تعالى قال تعالى ﴿... وَعَصَيْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ...﴾^(١) ، ولا نصرة في مخالفة الرسول ولو كان العدو كافراً!! وكانت المخالفة لأمر النبي هنا أيضاً ليصيبوا الغنائم حينما رأوا بوادر النصر وهزيمة المشركين ، فتركوا مواقعهم ، التي أمرهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله بالبقاء فيها وإن تخطّفهم الطير ، وأرادوا مرة ثانية ﴿... عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ...﴾^(٢) . قال تعالى ﴿مِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾^(٣) ومخالفة أمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله محتومة نتیجتها بالعذاب ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٦٧ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١﴾ . فكيف يرجون النصر من عند الله ويقولون ﴿...
أَنْتَى هَذَا...﴾ وهم قد خالفوا أمر نبيهم رغم تحذير الله لهم؟
فقال تعالى ﴿... قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ...﴾ وهذا هو
الرد الإلهي على تساؤلهم عن هزيمتهم في معركة أُحُد من قبل
المشركين . ليعلموا ، بل ليعلم كل ذي بصيرة مؤمن يرجو الله
واليوم الآخر أن طاعة أمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله أهم
من هزيمة الكفار والمشركين وجهادهم .

فكيف يُعْضُ الطرفُ عن عصيان الصحابة المحاربين لأمر
النبي صلى الله وبارك عليه وآله؟ وهو من الكبائر التي توجب
الفتنة والعذاب الأليم ، وهو الذي كان سبباً مباشراً في نتيجة
معركة أُحُد ، فكيف يُعدّل عنه ليقال إن قبول النبي صلى الله
وبارك عليه وآله الفداء من الأسرى في معركة بدر - قبل عام
ومخالفته لرأي عمر!- كان هو السبب المباشر في هزيمة الصحابة
في معركة أُحُد؟؟! وأقول هزيمة الصحابة لأن النبي صلى الله
وبارك عليه وآله لم ينهزم ولم يرجع عن الموضع الذي كان فيه
في المعركة خطوة إلى الوراء . عن علي رضي الله عنه قال : «ثم
كنا إذا احمر البأس ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله
صلى الله عليه وسلم فما يكون منا أحد أدنى من القوم

(١) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

منه»^(١) ، فقد ظل صامداً شامخاً ، دونه الجبال الرواسي ، يدعوهم في أخرهم وهم مُنهزمون لا يلوون على أحد كما وصفهم الله تعالى ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ...﴾^(٢) والانهمام صفة لا تليق برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله كامل الصفات ، ولا ينبغي نسبتها للمعصوم . فلا يُقبل بأي حال من الأحوال أن يُقال إن فعل النبي الحق في معركة بدر هو السبب في الهزيمة في معركة أُحد ، لترفُح المخالفة عن الصحابة في عدم التزامهم واحترامهم بل عصيانهم لأمر النبي الكرم صلى الله وبارك عليه وآله التي أثبتتها الله تعالى في محكم تنزيله ﴿... وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ...﴾^(٣) وتلقى اللائمة على خير البشر المعصوم لمخالفته لرأي عمر ، طعناً في صحة فعله في إتباعه لوحي ربه الذي أكدّه الله تعالى في كتابه العزيز ﴿... إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾^(٤) .

يلاحظ في الحديث جملة «وفرَّ عنه أصحابه» ، وهي التي تصف الصحابة بالفرار من المعركة والانهمام ، وهي محلُّ للتساؤل ؛ لأنها تبدي الراوي الذي ينسب إليه الحديث كأنه

(١) مسند أحمد .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٣ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

(٤) سورة الأحقاف ، الآية : ٩ .

ليس واحداً من أصحاب النبي صلى الله وبارك عليه وآله
المحاربين في معركة أحد وكأنه مراقب للمعركة من مكان بعيد
وإلا كان هو من جملة الفارين!!

خلاصة الحديث هي أن ما قيل عن «معاوية النبي» صلى
الله وبارك عليه وآله في يوم أحد («وكسرت ربايعيته وهشمت
البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه وفر عنه أصحابه»)
يعزى إلى مخالفته رأي عمر وأخذه الفداء في معركة بدر قبل
عام! ولم يشفع له بكاؤه آنذاك! وأن رأي عمر كان أفضل من
فعل النبي الأعظم صلى الله وبارك عليه وآله! وأن الله سبحانه
أيد عمر وخطأ نبيه الذي أرسله! ويغض الطرف عن مخالفة
الرماة ومعصيتهم لأمر النبي صلى الله وبارك عليه وآله الذي
أثبتته الله في كتابه ﴿... وَعَصَيْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا أَرَأَيْتُمْ أَن
تُحِبُّونَ...﴾^(١) وتركهم لمواضعهم التي أمرهم النبي صلى الله
وبارك عليه وآله بالبقاء فيها وإن تخطفهم الطير! وهو الذي كان
السبب المباشر لهزيمتهم في معركة أحد لأن عدم طاعة النبي
صلى الله وبارك عليه وآله هي عدم طاعة الله سبحانه! .

فهل هذا هو الدرس المقصود الذي يستفيده المسلمون من
معركة بدر؟ بمعنى أن مخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله
لصحابي توجب عليه العقاب والهزيمة ، ومخالفة الصحابة
للنبي وعدم طاعته التي هي عدم طاعة الله يُسكت عنها في

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٢ .

الحديث ولا يُرى غبار عليها ولا يُرى أثر لها في النتيجة؟! أما أن الأوان لمراجعة مثل هذه الأحاديث؟؟ ألا يدخلنا المنع في تناول المصادر بالتدقيق لمراجعة مثل هذه الأحاديث في قول الله تبارك وتعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا...﴾^(١) أليس الأجدر أن يوصف الصحابة رضي الله عنهم بأنهم أكثر الناس إلزاماً بطاعة النبي صلى الله وبارك عليه وآله التي فرضها الله سبحانه وتعالى عليهم بدلاً من أن يوصف أحدهم بمخالفة النبي صلى الله وبارك عليه وآله ومحاولة تصويب تلك المخالفة؟ وهل يُمدح الصحابي بمخالفته لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أم بطاعته؟؟ . فهل يُراد من أمر أسرى بدر شيء غير إثبات اللوم على خير البشر؟ وهل هذه طريق النجاة عند الله في اليوم الآخر؟ ﴿وكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢) .

(١) سورة لقمان ، الآية : ٢١ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٥٥ .



(٢)

الاتهام بالصلاة على منافق

قال تعالى ﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا...﴾^(١) . فأرسي سبحانه عدم الإكراه للإنسان ﴿... فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾^(٢) وما هذه إلا تذكرة لمن أراد أن يذكر فليتدبر فالأمر جدير بكل الاهتمام ومراجعة النفس ، والنظر إلى اليوم الآخر يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا رحمة الله المتمثلة في صاحب الشفاعة ، فأين أنت منه؟

يمكن القول بأنه يندر أن تجد مسلماً لا علم له بما قيل في عبد الله بن سلول من النفاق كأنه ركن من أركان الإسلام حتى صار من المسلمات ويضرب به المثل عند العامة . فما هي أهمية إثبات النفاق على عبد الله بن سلول بينما النبي صلى الله وبارك عليه وآله يقول «في أصحابي إثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط»^(٣) وهذا الحديث يدل على أن الصحبة لا تنفي النفاق وجعل

(١) سورة الإسراء ، الآية : ١٠٧ .

(٢) سورة الكهف ، الآية : ٢٩ .

(٣) مسلم .

العِلمُ بهؤلاء المنافقين سرّاً لم يعلمه أحد من الصحابة غير حذيفة رضي الله عنه ولم يسمّ أحداً منهم لا عبد الله بن سلول ولا غيره ورغم ذلك لا تجد مسلماً اليوم من السنّة أو الشيعة لا يقول بغير نفاق عبد الله بن سلول .

فالأمر قد يبدو في ظاهره إثبات نفاق عبد الله بن سلول ولكن بالتحقيق فيه فهو بخلاف ذلك بل هو أكبر وأخطر . فليس إثبات النفاق على أحد من الناس قضية خطيرة تهم الإسلام والمسلمين . إذاً ما هو الأمر الخطير الداعي لهذا الاهتمام بإثبات النفاق على هذا الرجل؟

والإجابة أنّ الخطورة المبطنة في هذا الموضوع هي أنّه يتعلق بأعظم وأكرم وأشرف خلق الله صلى الله وبارك عليه وآله وفعله وعلمه ، بل اتهامه وإثبات الخطأ عليه!!! فلننظر في هذا الأمر بعين بصيرة لنشاهد حقيقة ما يرمي إليه ولنتمعّن الأسئلة التالية :

هل يمكن أن يُحاسب أحد الرسول صلى الله وبارك عليه وآله على رسالته؟ هل تعلم بأن رسول الله كفن عبد الله بن سلول بثوبه وصلى عليه؟! وهل الصلاة على الميت إلا الدعاء بالمغفرة؟! وهل دعاء رسول الله بالمغفرة ليس مستجاباً؟! ألا يشفع؟! هل فعل رسول الله لا قيمة له؟! هل خالف رسول الله ربه؟! هل يمكن أن يُتهم رسول الله بالجهل بالقرآن؟! هل يمكن قبول تصحيح الرسول فيما جاء به؟ وهل هناك صحابي يعلم المنافقين غير حذيفة صاحب سر رسول الله؟! هل صرح رسول

الله بأن ابن سلول من المنافقين؟! هل صرح حذيفة وباح بالسر وقال بأن ابن سلول من المنافقين؟! هل جلد ابن سلول في حادثة الإفك عندما جلد حسّان ابن ثابت ومن معه؟! هل تعلم بحديث أورده البخاري بأن الذي تولى كبر حادثة الإفك هو حسّان بن ثابت؟! ألم يكن عمر بن الخطاب في خلافته لا يصلي على ميت إلا إذا حضر حذيفة الصلاة؟! إذا كان الواقع هو أن النبي وصاحب سره حذيفة لم يصرحا بأن ابن سلول منافق فمن أين جاء هذا الاتهام؟

اختصّ الله سبحانه وتعالى رسوله وحده بالعلم بالمنافقين حيث قال تعالى ﴿وَمَنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾^(١) فنفى عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله العلم من نفسه بالمنافقين وأثبت له علم الله أي جعل علمه بالمنافقين علم الله بهم . ولم يُعلم النبي أحداً بالمنافقين غير حذيفة رضي الله عنه . واحتفظ حذيفة بذلك السر ولم يذعه ، رغم محاولة عمر بن الخطاب له ليعرفه بهم أو ليعرفه هل هو منهم ، حتى أنه كان في خلافته يتحرى حضور حذيفة للصلاة على الجنائز - كما ذكروا - فإن صلى حذيفة صلى عمر وإلا فلا . وهذا أيضاً يدل على أن المنافق لا يصلى عليه . فإن كان حذيفة لا يصلي على المنافق فمن المعلوم بالضرورة أن من علمه ذلك ، وهو النبي

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠١ .

صلى الله وبارك عليه وآله يستحيل أن يصلي على منافق . لأنه لا ينهى عن خلق ويأتي مثله . !. ويستحيل أن يصلي على من منعه الله من الصلاة عليه .

وقد جاء في الحديث أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله إذا جاءت جنازة أحد فقراء المسلمين من الذين لم يستطيعوا أن يؤدوا ديونهم من شدة الفقر والعوز - ولو كان عليه دين قدر دينار- لا يصلي على ذلك المسلم الفقير^(١) . ويقول صلّوا على صاحبكم ، ومعلوم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله أدى دين سلمان رضي الله عنه ودين جويرية رضي الله عنها ، وهو أكرم من مشى على وجه الأرض ، وهو رحمة الله المبعوث لكل الخلق ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٢) وأسعد الناس به الفقراء والمساكين وهو القائل «من أكرم غنيا لغناه ، أو أهان فقيرا لفقره ، لم يزل في لعنة الله أبد الأبدين»^(٣) فكيف لا يضمن دين الفقراء عنهم ويصلي عليهم؟ فهل من الخلق المحمدي أن يصلي على منافق ولا يصلي على الفقير المعدم؟! فإن ثبت أن النبي لم يصل على فقير مدين فإن العلة ليست في الفقر والدين بل في أمر يعلم النبي صلى الله وبارك عليه وآله من أجله أنه لا يصلي على ذلك الميت وليس ذلك إلا النفاق .

(١) مجمع الزوائد للهيثمى .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

(٣) لسان الميزان لابن حجر العسقلاني .

قالوا إن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لا يصلي على من مات فقيراً معدماً مديناً ولكنه صلى على من قالوا إنه رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وكفنه بثوبه ، ووقف على قبره حتى دفن ، فقد جاء في صحيح البخاري : أنه لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ، فأعطاه . ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله فقال : يا رسول الله ، أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إنما خيرني الله فقال : ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(١) ، وسأزيده على السبعين . قال : انه منافق . قال : فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم^(٢) فأنزل الله ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٣) .

واضح من الحديث أن عمر كان يعترض مستنداً إلى الآية

(١) سورة التوبة ، الآية : ٨٠ .

(٢) البخاري .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٨٤ .

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ...﴾ لقوله «أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟» فالأمر خاص بالمنع عن الصلاة على المنافق وهي الآية ٨٤ من سورة التوبة ، فكيف يُقال أنّ النبي صلى الله وبارك عليه وآله أجاب عن ما خُير فيه وهو الاستغفار وليس عن الذي مُنع منه وهو الصلاة على المنافقين؟ وما خُير فيه النبي صلى الله وبارك عليه وآله هو الاستغفار للمنافقين في الآية ٨٠ من سورة التوبة وهي لا تتحدث عن الصلاة على المنافقين بل عن الاستغفار وسابقة لآية المنع عن الصلاة في (الآية ٨٤) . واعتراض عمر لم يكن على استغفار النبي للمنافقين بل على الصلاة!! فكيف يجيبه النبي صلى الله وبارك عليه وآله عن الاستغفار؟

نجد في هذا الحديث أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لم يقل إن ابن سلول كان منافقا ولا يوجد ذلك في أي حديث آخر ينسب للنبي صلى الله وبارك عليه وآله ، ولم يذكر حذيفة صاحب رسول الله الذي يعلم المنافقين ، والذي كان عمر يسأله عن المنافقين - لأن عمر لا يعلمهم - أن ابن سلول من المنافقين!! وما كان ليذيع سرا للرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . وأن الذي قال إن عبد الله بن سلول منافق هو عمر بن الخطاب كما جاء في الحديث وكذلك قالت عائشة في أحاديث الإفك!!!

وحاول عمر أن يثني رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله عن الصلاة على ابن سلول ، ورفض الرسول صلى الله وبارك

عليه وآله اعتراض عمر حين أمسك بثوبه ، فجبذه منه ؛ ثم وقف عمر أمامه يقول له أتصلي عليه وقد قال كذا وكذا يوم كذا؟ والنبي يبتسم ، ثم أمره النبي أن يتنحى عنه ليصلي عليه فقال عمر «إنه منافق» وصلى عليه رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . ومن هنا جاء أن ابن سلول منافق ، أي من عمر الذي لا يعلم المنافقين !! ثم قالوا إنه رأس المنافقين ، ولم يقل ذلك النبي ولا حذيفة وهما وحدهما اللذان يعلمان المنافقين .

فُنُسِبَ النفاق لابن سلول ممن لا علم له بالمنافقين ، وأصروا على أنه منافق رغم أن النبي صلى عليه وكفنه بثوبه ووقف على قبره . فلم الإصرار على أنه منافق؟ هل ليبرر اعتراض عمر على النبي حيث ما كان ينبغي له -ولا لأي مسلم- أن يعترض على رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في أي فعل أو أمر؟ فقد قال تعالى ﴿... فَلَا يُنَازِعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ...﴾^(١) أم ليقولوا إن موقف عمر في اعتراضه على النبي كان أصح من فعل النبي المعصوم؟ رغم أنه لم يكن يستند إلى علم اللهم إلا أن يقال أنه هو الأعلم من النبي بالقرآن وتنفيذه وبأداء الرسالة فيتجرأ ويقول لرسول الله الذي أنزل عليه القرآن «أتصلي عليه وقد نهاك الله»!! كأنه يعظه من ارتكاب فعل نهى الله عنه!!! فالواجب على عمر طاعة رسول الله التي هي طاعة الله .

وإن كان عمر يستند إلى القرآن باعتبار أن آية المنع نزلت

(١) سورة الحج ، الآية : ٦٧ .

قبل الصلاة على ابن سلول - وهو ما يخالف ما يرمى إليه الحديث- فهو ليس الأعلم بالقرآن ممن أنزل عليه ليعترض على النبي بما نزل قبل ذلك من القرآن كأنه هو الأعلم به منه!! وليس هو المفسر للقرآن بحضرة النبي صلى الله وبارك عليه وآله . ولا يجوز له التعدي على النبي بالاعتراض وجذبه من ثوبه بدعوى معرفته للقرآن ومراد الله من الرسالة . !!

وما أرى ذلك إلا هو الأذى بعينه - إن صح كل ذلك من عمر- فإذا قبلناه ، فذلك يعني إثبات خروج عمر عن طاعة الله ورسوله صلى الله وبارك عليه وآله فإله سبحانه يقول : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^(١) كما أنه لم يبق عندنا قدر ولا إيمان لنبيننا صلى الله وبارك عليه وآله في معرفته بما جاء به من عند الله كما لعمر!! ولا يقول مسلم بذلك معتقداً صحته ونعوذ بالله أن نكون من الجاهلين . واعتقاد ذلك يعني أن صلاة النبي - كما يقولون- كانت محل المؤاخذة من الله ، الذي أرسله وتفضيل عمر عليه ، إذا كان ابن سلول حقاً منافقاً!! ويلاحظ في الحديث أن عمر قال «أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه» مما يدل على أن النهي عن الصلاة على المنافقين ، كان سابقاً لصلاة النبي على ابن سلول ولكلام عمر معه - كما جاء في الحديث- مما ينفي دعوى عمر أن المنع في القرآن نزل مؤيداً

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٣٢ .

له بعد اعتراضه ، ويؤكد أن النبي صلى على ابن سلول بعد نزول آية منع الصلاة على المنافقين وليس قبلها . !!
فأرادوا أن يثبتوا أولاً أن ابن سلول منافق - رغم انه لا يوجد نص بذلك ممن يعلم المنافقين - ثم ليقولوا بعد ذلك إن النبي صلى على منافق . وأن عمر - الذي لا يعلم المنافقين - اعترض على رسول الله في الصلاة عليه ، كأنه هو المتيقن من معرفة المنافقين دون النبي ، ثم يقولوا أن الله بعد ذلك أيد عمر بنزول الآية لموقفه القوي المعارض للرسول وبكيفية أداء الرسالة دون النبي ، ولعلمه الأكثر بالمنافقين ، وبما يجب أن يكون في التعامل معهم ، ويؤاخذ نبيه مدينة العلم الذي أوجب طاعته في أداء رسالته صلى الله وبارك عليه وآله . !

بعد أن أثبت الله سبحانه في محكم تنزيله أن لا أحد له علم بالمنافقين غيره تعالى وذلك في قوله ﴿... وَمَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ أخبر الله سبحانه بعد ذلك رسوله بهم وأمره بعدم الصلاة عليهم . فالعلم بهم لغير رسول الله محال وليس لأحد أن يتجرأ بتلك المعرفة إلا من يخبره رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ولم يخبر رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله إلا حذيفة وحده! وبما أن الصحبة لا تنفي النفاق لقول رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله «في أصحابي إثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط»⁽¹⁾ فلا يبقى شيء

(1) مسلم .

يجزم بنفي النفاق عن صحابي إلا صلاة النبي صلى الله وبارك
عليه وآله أو صلاة حذيفة بعد انتقال النبي صلى الله وبارك
عليه وآله .

يُلاحظ الاضطراب في هذا الحديث في قول عمر حين
اعترض على رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله «أتصلي
عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه . . .» وهذا الكلام يدل
على أن عمر يستند إلى آية المنع ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ
مِنْهُمْ . . .﴾ . قال فصلى عليه رسول الله صلى الله وبارك عليه
وآله فأنزل الله ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ . . .﴾!! أي أن
عمر اعترض مستنداً إلى آية المنع ثم يقول أن آية المنع أنزلت
بعد اعتراضه!!!

ويلاحظ في الحديث أيضاً أن الموضوع هو الصلاة على
المنافقين ، حيث قال عمر «أتصلي عليه وقد نهاك الله . . .» .
وينسب للنبي رده على ذلك بقوله «إنما خيرني الله تعالى
استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة لن
يغفر لهم . . . وسأزيده على السبعين» . والأمر الإلهي هو
﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ . . .﴾^(١) ولا تخيير في أمر الصلاة على
المنافق ولكن التخيير في الاستغفار وموضوع الحديث هو الصلاة
على المنافق ولا دخل للإستغفار بالموضوع .
والحق في قوله تعالى ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ

(١) سورة التوبة ، الآية : ٨٤ .

أَبْدًا... ﴿١﴾ أحد أمرين ، إما أن يقال إنَّ محمداً رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله خالف ربه صراحة وصلى على منافق على الرغم من هذه الآية ، وإما أن يكون ابن سلول ليس منافقاً . واتهام النبي بمخالفة الأمر الإلهي كفر . لأنه يعني أنه ليس مرسلًا وهذا قول الكافرين ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا...﴾ ﴿٢﴾ إذن اتهام ابن سلول بالنفاق إنما القصد منه تحقير فعل النبي وإسناد الخطأ إليه بل مخالفته لأمر ربه وإخفاقه في أداء الرسالة وأنَّ عمر أدري وأقوى منه في الحق وأنَّ الله يؤيده ويعاتب رسوله لمخالفته!!! بمعنى أنَّ عمر أجدر منه كما يقولون وأعرف بأداء الرسالة على الوجه الصحيح!! وأنَّ النبي الذي اختاره الله لأداء رسالته ليس جديراً عندهم بالرسالة كجدارة عمر!!! كأن الله سبحانه لم يختار الأنسب لرسالته .

وقد نُسب إلى ابن سلول أنه هو الذي تولى كبر حادث الإفك . رغم انه لم يجلد في تلك الفتنة . ولم يقم عليه حد القذف كما أقيم على حسان بن ثابت ومسطح وحمنة ، من الذين خاضوا في حادث الإفك ، فكيف يكون هو الذي تولى كبره ولم يثبت عليه ما يقام به الحد؟
جاء في البخاري في حديث الإفك عن عائشة رضي الله

(١) سورة التوبة ، الآية : ٨٤ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٤٣ .

عنها أنها قالت « . . . فقام رسول الله فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول قالت فقال رسول الله وهو على المنبر يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال يا رسول الله أنا أعذرك منه إن كان من الأوس ضربت عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج - وكانت أم حسان بن ثابت بنت عمه من فخذة - وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير وهو بن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين فتناور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله قائم على المنبر . . . »^(١) .

يلاحظ أولاً في هذا الحديث أن عائشة هي التي قالت أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله استعذر من ابن سلول ولم يقل النبي ذلك ، ولم تقل هي أن النبي قال ذلك فالحديث يبين أن المستعذر منه لم يسمه النبي باسمه .
ثانياً ، الحديث يدل على أن النبي صلى الله وبارك عليه

(١) البخاري .

وأله ، قال هذا الكلام قبل أن يتثبت من البينة على المتهم وهو أمر يستحيل صدوره من النبي صلى الله وبارك عليه وآله . ولو كانت هناك بينة كافية ضد ابن سلول فإنّ النبي لن يتردد في إقامة الحد عليه ، وقد أقيم الحد على حسّان ومن معه بعد ثبوت البينة .

ثالثاً ، كيف يوكل صاحب الأمر والنهي رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله الحكم في قضية إلى المجتمع كله ليقترض من متهمّ نكرة بعد أن يثيرهم عليه في خطبة عامة؟ وكيف ينفذ الحكم؟ وما هو الحكم؟ الجلد أم القتل أم ماذا؟

رابعاً يلاحظ في قول سعد بن معاذ زعيم الأوس «إن كان من الأوس ضربت عنقه» بينما الجريمة ولو ثبتت وعرف من هو المتهم فعقوبتها الجلد لا ضرب العنق لأنها قذف!

يلاحظ في الحديث أيضاً أن عائشة ذكرت أنّ أم حسان بن ثابت هي بنت عم سعد بن عباد زعيم الخزرج فأخذت الحمية سعد بن عباد فردّ على سعد بن معاذ!!! وهذا يدل -لو صح الحديث- على أنّ النبي استعذر من حسان بن ثابت وليس من عبد الله بن سلول ، لأنّ حسّان هو الذي جُلِد في حادث الإفك!

يلاحظ كذلك قول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنّ سعد بن عباد كان رجلاً صالحاً فأخذته الحمية ورد على سعد بن معاذ بقوله «كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله» وهذا يدل على أنّ الحمية هنا خاصة بحسان بن ثابت بينما سعد بن

معاذ لم يقل أنه سيقته إن كان من الخزرج بل قال لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله «وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك» .

فانظروا ماذا كان سيحصل من أثر لمثل هذه الخطبة المنسوبة للنبي صلى الله وبارك عليه وآله؟! القتل في جريمة قذف وينفذ الحكم من العامة لا من القاضي الحاكم ودون إثبات والمتهم لم يُعرف بعد!!

أترى أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله كان يومها عاجزاً عن التقصي ومعرفة الحق وعن تنفيذ حكم الشرع في متهم ما أياً كان ذلك المتهم!!؟

خامساً ، كلام سعد بن معاذ يوضح أن المقصود رجل مجهول لا يعلم أهو من الأوس أم من الخزرج ولا يعرف اسمه فإن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله لم يسم عبد الله بن أبي ولا غيره .

سادساً إقامة الحد على حسان بن ثابت ومسطح وحمنة ، يدل على أنه كان هناك تحرُّ وسماع بينات وتنفيذ حكم لا دخل لعبد الله بن سلول فيه . فكيف يستقيم هذا الحديث وهذه الخطبة المنسوبة لرسول الله صلى الله وبارك عليه وآله المجهول فيها المتهم والحكم؟ ثم أنظر إلى صورة الصحابة في هذا الحديث وتعاملهم مع النبي واتهام بعضهم بعضاً بالنفاق وسوء العلاقة بينهم! أهكذا كانت صورة أحباب النبي وصحابته أمامه؟! إن الذين يريدون أن يؤخذ كل ما جاء في البخاري

فليراجعوا أنفسهم قبل أن يتهموا من يرفض ذلك .
 وجاء في حديث آخر في البخاري « . . . عن مسروق قال
 دخلنا على عائشة رضي الله عنها وعندها حسّان بن ثابت
 ينشدها شعراً يشيب بأبيات له . . . قال مسروق فقلت لها لم
 تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى : ﴿ . . .
 وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(١) . فقالت : وأي
 عذاب أشد من العمى . . . »^(٢) وهذا يدل على أن حسّان هو
 الذي تولى كبر حادث الإفك ، وليس ابن سلول . إذن فمن
 الذي قال إن ابن سلول منافق أو هو رأس المنافقين؟؟ لم يقل
 ذلك رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ، لأنّه لا يفشي ما
 أسره ، ولم يقله حذيفة صاحب السر ولا يوجد غيرهما من
 يعرف المنافقين!!!

ولو افترضنا أن النهي عن الصلاة على المنافقين جاء بعد
 صلاة النبي صلى الله وبارك عليه وآله على ابن سلول ، وأن ابن
 سلول كان منهم كما زعموا فهل ذلك يبطل أثر صلاة النبي
 السابقة ويلغى مفعولها أم هو لما يقدّم من فعل مماثل؟ وهل يراد
 من المسلمين - كما هو حاصل الآن- أن لا يجعلوا قيمة لصلاة
 النبي على ابن سلول ، وتكفيينه بثوبه وأن ما فعله النبي كان
 جهلاً وعبثاً لا قيمة له!؟ أو أنه خالف ربه! ونظّل نلعن من

(١) سورة النور ، الآية : ١١ .

(٢) البخاري .

صلى عليه النبي ودعا له بالمغفرة في الصلاة!! أم أنه - كما يظن البعض - كان يظهر الصلاة عليه ترحماً بالخير ويدعو عليه بالشر سراً . . . ، وهذا خلق لا يوصف به أدنى مسلم له صدق مع الله وإخلاص في القول والعمل ؛ ناهيك عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، الذي بعث ليتمم صالح الأخلاق . ولا أدري ماذا يكون رد مسلم إذا قيل له إنَّ النبي صلى على ابن سلول ودعا له بالمغفرة فهلا فعلت أتباعاً للنبي؟ هل سيفعل أم يستنكف ليثبت اتهامه للنبي صلى الله وبارك عليه وآله؟

ثم إنه لا يوجد ما يجعل النبي صلى الله وبارك عليه وآله يفعل أمراً في الدين لا يريده ، ولا يريد الله الذي أرسله بالحق ، وجعله الأسوة الحسنة في الصدق والإخلاص والقوة في الجهر بالحق وعدم المجاملة فيه . ويوضح ذلك أنه لم يتردد في منع عمر نفسه عن إمامة المسلمين حينما سمعه يؤم الناس في صلاة المغرب وقال «يأبى الله ذلك والمسلمون»^(١) . ولا يعتقد مسلم أن في عمر قوة في الحق أكثر من النبي اللهم إلا أن يكون رسوله عمر!!

من يقول إنَّ عمر أقوى من النبي في إظهار الحق والجهر به ، فقد حط في نفسه من قدر النبي الأسوة الحسنة ورفع من قدر عمر فوقه ، وجعل عمر هو الأسوة الحسنة عنده في الحق!!!

(١) سنن أبي داود .

إن من ينتقص من القدر المحمدي الشريف ليس مسلماً ،
وأهل هذا المعتقد الفاسد ، هم الذين ينظرون إلى القائم عليه
السلام نظرة المخالف لأهل السنة ، وهم الأكثرية التي سوف
تقاتله على نهجه في إحياء السنة وتصحيح العقيدة ، وتوضيح
قدر رسول الله العظيم صلى الله وبارك عليه وآله ، الذي لا
يدانيه أحدٌ من أمته عمرٌ كان أو غيره !!! ويكشف الله به عن
بصيرة قوم كانت أعينهم في غطاء عن لوم الأمة للنبي أربعة
عشر قرناً من الزمان .

وقد يكون قصدهم من عدم تخطئة عمر ورفع قدره هو تبرئة
صاحب رسول الله من مخالفته لله سبحانه . لأن ذلك يخرجهم
من الصحبة بل من طاعة الله ، لأن طاعة النبي هي طاعة الله
﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ
عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(١) ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فكيف يكون الخليفة الثاني قد وصم
بعدم طاعة الله ورسوله في حياة النبي ويستحيل عندهم رفض
حديث البخاري؟ ولحافظتهم على كل ما جاء في البخاري
يُقبَل الحديث الذي يصف عمر بالمخالفة ثم تبرر المخالفة!!!
ولذلك قالوا يجب أن تكون كل أفعال الخليفة الثاني عندهم
صحيحة ممتازة ، كما ذكرها البخاري ولو عارض فيها النبي
صلى الله وبارك عليه وآله!! ولكي لا يكون موصوما بعدم طاعة

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

الله ، يقولون إن القرآن من عند الله جاء مؤيداً له حتى لا تكون عدم طاعته لرسول الله هي عدم طاعته لله !! ﴿... وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾^(١) ويفصلون طاعة رسول الله عن طاعة الله!!! إنهم حقيقة يقولون إن طاعة الله ممكنة رغم معصية رسول الله ولا يشترط لطاعة الله طاعة رسول الله ، رغم إثبات الله لها ﴿... وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ...﴾ أي نطيع الله ولا نطيع رسوله ﴿... وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٢) وما ذلك إلا خوفاً من أن يكون في الإسلام - خاصة ممن عاصروا النبي صلى الله وبارك عليه وآله - أصحاب يخطئون . يريدون أن يُخرجوا صورة ملائكية وعصمة للمسلمين الأوائل كما ذكر البخاري ولو احتاج ذلك لليّ عنق الحقيقة وتخطئة رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . لأنهم يريدون أن يكون رجال الإسلام خاصة صحابة النبي صلى الله وبارك عليه وآله جميعهم كما ذكر البخاري معصومين لا يخطؤون - ولو عارض أحدهم النبي نفسه فإنه يكون محقاً والنبي هو المخطئ - ولا ينافقون ، وكلهم عدول رغم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله يقول في صحيح مسلم «في أصحابي إثنا عشر منافقاً فيهم ثمانية لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط» وقال الله تعالى ﴿يَا

(١) سورة النساء ، الآية : ١٥٠ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٠ .

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿١﴾ وهم كفار اليهود وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (٢). وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ...﴾ (٣). كل ذلك لأولئك الأنف من الذين ما كانوا يعرفون قدر النبي وتوقيره حتى يزرهم الله بمراعاة الأدب معه وعدم رفع الصوت فوق صوته بل حتى لا يتكلمون معه بصوت جهور، ولا باسمه مجرداً كما يدعون بعضهم بعضاً. فكم تركوه صلى الله وبارك عليه وآله قائماً في المحراب للصلاة وخرجوا من المسجد لأجل اللهلوسماع الجوارى المغنّيات أو ليتسابقوا على شراء الزيت القادم من الشام ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا...﴾ (٤).

ورغم أنّ القرآن كان يتنزل في وجودهم ويعلمون أنّ أزواج النبي أمهاتهم فتجد بين الذين كانوا يدخلون على بيوت النبي من الصحابة من بلغ من الانحطاط وسوء الخلق أنّه كان يطمع

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٩.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٩.

(٤) سورة الجمعة، الآية: ١١.

في نساء النبي . وأثبت الله سبحانه وتعالى ذلك في محكم تنزيله - ولم يكن ابن سلول من الذين يدخلون على بيوت النبي - قال تعالى ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ... ﴾ (١) فمنعهم الله سبحانه من الدخول على بيوت النبي حتى يؤذن لهم لأنهم كانوا يطمعون في نساء النبي وذلك كان يؤذي النبي! وتجد منهم من نُسب إليه إيذاء النبي بما لا يليق بمسلم عادي فيقول - وهو الذي قالوا إنه مبشر بالجنة - لئن مات محمدٌ لأنكحن عائشة من بعده (٢)!!! وقال في رواية أخرى «أیحدبنا محمد عن بنات عمنا ويتزوج نساءنا من بعدنا؟ لئن حدث به حدث لئنكحن نساءه من بعده» (٣) . انظروا إلى هذا المبشر بالجنة - إن صح ما يقولون - وهو يقول «محمد» مجردا بدون الصلاة عليه ، وينتظر موته لينكح أزواجه من بعده!! وهذا القائل - لأنه من أصحاب محمد صلى الله وبارك عليه وآله - يريدون أن يخرجوه من هذه الصورة البشعة التي لا يجروء مسلم على قولها ولا كافر فيجعلونه من المبشرين بالجنة!!! ولا يعتبرون بقول الله تعالى ولا يلتفتون إلى إذية رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٢ .

(٢) الحاوي للفتاوي لجلال الدين السيوطي .

(٣) ابن أبي حاتم .

أترى لأنه يتمنى موت النبي وينتظر ذلك بفارغ الصبر
لينكح أزواجه من بعده ولذلك وجبت له الجنة . ! لأنه بهذا
القول التتن الشنيع - الذي لا يمكن صدوره من أحد صعاليك
المدينة وسفهاؤها - أذى رسول الله وأذى كل أمة محمد
فوجببت له الجنة؟! ورغم أن الله تعالى أنزل فيه ﴿... وَمَا
كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ
بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾^(١) يجعلونه مبشراً
بالجنة؟ فما بقي لأهل هذا المعتقد إلا ليقولوا لكل من يؤذي
رسول الله هنيئاً لك أيها المبشّر بالجنة ويقولوا إن من يعارض
رسول الله يمكن أن يُنزل الله قرآناً يؤيده ويؤاخذ نبيه المعصوم
ورسوله مدينة العلوم وأفضل خلقه من رسله وأنبيائه وملائكته
الذي يصلي عليه الحي القيوم .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٣ .



(٣)

الاتهام بالقرين الشيطان

قال تعالى : ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِيضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(١) . وقال تعالى ﴿... وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾^(٢) .

فالشيطان القرين موكل بمن يعيش عن ذكر الرحمن ، ذلك الذي يتخذ الدنيا مقصداً وغايةً لذاتها وزخرفها ، لا الكيس الذي دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، وجعل الآخرة الباقية نصب عينيه عوضاً عن الدنيا الفانية . . ذلك الذي قام ليله لربه ، وصام نهاره لقربه ، وهام بحبه ، وكان من الذين ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ . . .﴾^(٣) فكان ممن قال الله فيهم ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٤) الذين مدحهم ربهم بكرم صفاتهم في محكم تنزيله . . الذين ملأت تقوى الله قلوبهم

(١) سورة الزخرف ، الآية : ٣٦ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٣٨ .

(٣) سورة السجدة ، الآية : ١٦ .

(٤) سورة الفرقان ، الآية : ٦٣ .

فالتزموا القرب من أولياء الله الصادقين ، التزاما بأمر الله تعالى لهم . فهو ربهم الذي يريهم حيث قال تعالى : ﴿ ... اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^(١) الصادقون أهل المعية مع رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فيأيمانهم بربهم واجتهادهم في مرضاته بقيام ليلهم وصيام نهارهم واجتناب نواهيهِ والسعي فيما يرضيه والفرار إليه التزاما بقوله تعالى ﴿ فَفِرُّوا إِلَيَّ اللَّهُ ... ﴾^(٢) كساهم صفة العبودية لربهم ، وخلع عليهم صفة التقوى ، فهم عباده المؤمنون وهم المتقون وبإيمانهم بالله وتقواهم هذه يتأهلون ليكونوا مع الصادقين أهل الإيمان برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . أهل المقام الأسنى ، والقرب الأدنى ، في الحس والمعنى ، الذين آمنوا بالرسول صلى الله وبارك عليه وآله ﴿ ... وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ... ﴾^(٣) . فأهل الإيمان بالله إذا كسوه بالتقوى فهم أقرب الناس إلى الإيمان برسول الله ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ... ﴾^(٤) ليكونوا خواص عباده الله ، أحباب النبي الذين قال فيهم : «وددت أني لقيت إخواني قالوا : ألسنا إخوانك؟

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٩ .

(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٨٦ .

(٤) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .

قال : أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني»^(١) وإلى هؤلاء . . أهل الإيمان بالله وأهل القلوب المليئة بالتقوى يتوجه الخطاب الإلهي يحثهم إلى مقام الصادقين أهل الإيمان برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله ، أحباب النبي صلى الله وبارك عليه وآله أهل المقام الأسنى الذين ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ . . .﴾^(٢) وهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله . قال الله جلَّ شأنه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) .

فهؤلاء ليس للشيطان القرين إليهم من سبيل لأنهم عباد الله الخاصين المخلصين قال تعالى : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ . . .﴾^(٤) . فهم أهل الاختصاص قال جلَّ شأنه ﴿ . . . يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٥) فإن الذين آمنوا بالله واتفقوا وآمنوا برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله فقد عصمهم الله من الشيطان القرين بنص القرآن قال جل شأنه

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٣ .

(٣) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .

(٤) سورة الحجر ، الآية : ٤٢ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ١٠٥ .

﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ
* إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ
مُشْرِكُونَ﴾^(١) وقد يبلغ المرء من هؤلاء في سموه الروحي إلى
أن يصير الحقُّ سمعه وبصره ويده ورجله فينطق الحق بلسانه
«سبحاني ما أعظم شأنني» كما نُقل عن البسطامي رضي الله
عنه ، وهي مقولة لم ينكرها ابن قيم الجوزية ولا ابن تيمية
الحرّاني الذي يراه البعض ويتخذه إماماً معارضاً لأهل السلوك
الربّاني والمعارف الإلهية .

وإذا كانت هذه الطوائف اتفقت على السمو الروحي لهؤلاء
القوم وسلامتهم من الشيطان القرين فكيف يجروون على القول
بأن رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله الذي اصطفاه الله من
بينهم وأرسله إليهم ليعلمهم الكتاب والحكمة فعلمهم السلوك
إلى الله ، والتقرب إليه به ، كيف يقولون إن له شيطان قرين
لكنه أسلم ، فلا يأمره إلا بخير!!! ألا أنه جاء في صحيح مسلم
ويجب علينا الأخذ بكل ما جاء فيه؟ وأنه يحرم علينا رفضه
وإن كان فيه ما ينتقص من القدر الشريف؟ بحجة أنه أصح
الكتب بعد كتاب الله - كما ادعوا بغير دليل- وإذا رفضناه
فقد هدمنا السنّة!!!

ألا يرى هؤلاء أننا إذا قبلناه هدمنا عقيدتنا وديننا كله!!!
بل نكون قد جعلنا مقام النبي صلى الله وبارك عليه وآله أقل

(١) سورة النحل ، الآيات : ٩٩ ، ١٠٠ .

من مقام أحد المشايخ! كيف بك أيُّها المسلم إذا قيل لك أن شيوخاً عارفين مثل عبد القادر الجيلاني والرفاعي والبدوي والشاذلي والتجاني رضي الله عنهم كان لكل واحد منهم شيطان قرين كافر؟! لأنه في الحديث لم يُسلم إلا الشيطان القرين الخاص بالنبي صلى الله وبارك عليه وآله!!! غفرانك اللهم من ذكر هذا القول وإن كان ذكرنا له بقصد إظهار بشاعته لدحضه وإنك تعلم النوايا وما تخفي الصدور . . . ولا حول ولا قوة إلا بك . . . ماذا يبقى من الدين للذي يقول إن للنبي شيطاناً مسلماً يأمره!!! بل يتحتم على صاحب هذا المعتقد أن يقول إن لكل من أبي بكر وعمر شيطاناً قريناً كافراً ولا يأمر بخير لأنَّ القرين الذي يأمر بالخير هو الخاص بالنبي - كما قالوا - والأعجب من ذلك من يعتقد في هذا الحديث ويعتقد كذلك في الأحاديث التي تفضل عمر على النبي بتأييد الله لعمر دون النبي حين يختلفان كما ذكروا في أسرى بدر أي أن الله يفضل الذي له شيطان قرين كافر ولا يأمره بخير!!!

قد يقول قائل ليس بالضرورة أن يكون لكل من أبي بكر وعمر شيطان كافر إذ لا يوجد ما يمنع أنه أسلم وهذا القول يقابله أنه لا يوجد ما يثبت أنه أسلم فعلى أفضل الأحوال الأمر شكٌّ في إسلام شيطانيهما ، أما شيطان عائشة فالنص يؤكد أنه لم يسلم فلها شيطان قرين كافر يختلف عن قرين رسول الله ، وإلا لما كان هناك مجال عتاب لها بشيطانها إذا لم يكن يختلف عن شيطان المعتاب ولا حول ولا قوة إلا بالله!!!

وقد نسبوا لأبي بكر أنه قال «إن لي شيطاناً يحضرني»^(١) .
وكيف يتفق هذا الحديث مع قول الله تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٣) وقوله تعالى في إقرار الشيطان بذلك ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾^(٤) وهذه الآيات خاصة بالذين أرسل إليهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله ليبلغهم ذلك فهل يكون هو عند الله أقل مقاماً عن الذين أرسل إليهم ليكون له شيطان أعانه الله عليه حتى يسلم؟!!!

فقد جاء في صحيح مسلم «حدثني هرون بن سعد الايلي حدثنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن ابن قسيط حدثه أن عروة حدثه أن عائشة زوج النبي صلى الله وبارك عليه وآله خرج من عندها ليلاً قالت فغرتُ عليه فجاء فرأى ما أصنع فقال : «مالك يا عائشة أغرتِ؟» فقلت ومالي لا يغار مثلي على مثلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أقد جاءك شيطانك»؟ قلت يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال : «نعم» قلت ومع كل إنسان؟ قال «نعم» قلت ومعك يا رسول

(١) مجمع الزوائد للهيثمي .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٤٢ .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٩٩ .

(٤) سورة الحجر ، الآية : ٤٠ .

الله؟ قال «نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم». وفي حديث آخر... عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن» قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»^(١).

وفي مسند أحمد بن حنبل عن جابر بن عبد الله قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله «لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم» قلنا: ومنك يا رسول الله؟ قال: «ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم».

معلوم أن الشيطان كافر بنص القرآن ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا...﴾^(٢) أما الجن فقد قال الله تعالى فيهم ﴿وَأَنَا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾^(٣) وقال: ﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾^(٤) فالكافر من الجن هو الشيطان القرين وعلى معتقد هذا الحديث أن يقر بأن لكل من أبي بكر وعمر وعائشة وكل صحابة النبي رضي الله عنهم

(١) مسلم .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢ .

(٣) سورة الجن ، الآية : ١١ .

(٤) سورة الجن ، الآية : ١٤ .

لكل واحد منهم شيطان قرين كافر ولا يأمره بخير!!! وأنه يعتقد ويجزم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله يتلقى الأمر لفعل الخير من شيطان أسلم أو من الله تعالى!!!! وأنا قد نتلقى الخير في سنة النبي التي شرعها لنا من شيطان مسلم يأمره بها!!!! فأني رسالة يُراد إيصالها للناس بهذا الحديث؟ أليزادوا ثقة في صحة الرسالة المحمدية؟ أهذا هو الدين الذي يراد منا اعتقاده؟ أهكذا تكون عقيدتنا في رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله؟ والسؤال هو ماذا تخدم هذه الأحاديث في نشر رسالة النبي صلى الله وبارك عليه وآله؟ وهي الأحاديث التي من يحفظونها يقال إنهم من العلماء!! وترعد بها أصواتهم على منابر المساجد حيث يخطب الإمام ولا يجرؤ أحد على مقاطعته فتُردد على الناس حتى تُصبح مقبولة عندهم بل تُصبح نوعاً من زيادة العلم عندهم!!

ولو كان الشيطان أسلم فإن الدخول في الإسلام لا يكون إلا بنطق الشهادتين فكيف بالشيطان الذي أسلم برسول الله وشهد أن محمداً رسول الله ليدخل في الإسلام كيف يتسلط على وسيلته للدخول في الإسلام ليأمره بفعل الخير؟! وأي نوع من الخير؟ وهل القرآن داخل في هذا الخير؟! أي هل يكون القرآن من أمر الشيطان الذي أسلم؟ غفرانك اللهم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وماذا كان قبل أن يسلم؟ ومتى أسلم؟ وكونه أسلم يعني أن ذلك تم بعد أن تم تعريف الإسلام أي بعد أن عرف ما هو الإسلام وذلك يعني بعد البعثة وذلك

يعني أن البعثة تمت وللنبي شيطان كافر قرين!!! هل تدل هذه الأحاديث على عظمة الرسالة المحمدية وعلى عظمة من جاءت على يديه؟ وماذا يريد المستهزئ أكثر من هذا ليرسم صورة رجل يرافقه شيطان ويقول هذا رسول المسلمين!!! اللهم إنا نبرأ إليك من هذا المعتقد وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الهالكين فإنك أنت أهل التقوى وأهل المغفرة وصلي اللهم وبارك وشرف وكرم على أفضل خلقك وأحبهم إليك الذي صليت عليه أولاً قبل خلق أبينا آدم واتخذته نبياً قبل بث الروح فيه وعلى آله الأطهار صلاةً لا تدع لنا بها ذنباً إلا غفرته وتزيدنا بها حباً في حبيبك وتاج كمالك ونور كونك ومركز تجلياتك وبارك كما يليق بعظمته وكما تحب أن يصلى عليه . .



(٤)

الاتهام بحب زوجة زيد

قال تعالى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ (١).

ظن بعض المفسرين ممن منعهم العجب عن إظهار حسن الأدب ، وقصرت بهم دعوى العلم عن بلوغ الأرب ، وأعمى بصائرهم عدم الحب عن رؤية عظمة من حاز كل العلم وما كتب ، ظنوا أنهم فهموا كلام الله عن سيد العجم والعرب . فحاضوا في شرح سقيم الفكر ، وقدموا للمسلمين في تفاسيرهم موائد الداء والضرر ، لعدم معرفتهم قدر من في حقه أنزلت السور ، وانحصارهم في أفق أنفسهم المليئة بالكدر ، فتكلموا عنه كالتكلم عن سائر البشر ، فانحرفوا بذلك عن مقصود الحق في العبر .

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٧ .

وقالوا إن صاحب الخلق العظيم تاقت نفسه لزوجة زيد وأخفى ذلك خشية أن يطلع عليه الناس فقال لزيد «أمسك عليك زوجك»^(١). وصادف ذلك عند بعض الناس هوى ، لجنوح النفوس وميلها إلى السوى ، فكان لا بدّ لهذا من الدواء ، ومحاولة معالجة ما خامر النفوس من هذا الداء . فقد جاء في تفسير القرطبي : «واختلف الناس في تأويل هذه الآية فذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم الطبري وغيره إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه استحسان لزینب بنت جحش وهي في عصمة زيد وكان حريصاً على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو ثم إن زيدا لما أخبره بأنه يريد فراقها ويشكو منها غلظة قول وعصيان أمر وأذى باللسان وتعظماً بالشرف قال له اتق الله أي فيما تقول عنها وأمسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص على طلاق زيد إياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه ولكنه لزم ما يجب من الأمر بالمعروف . وقيل تخاف وتكره لائمة المسلمين لو قلت طلقها ويقولون أمر رجلاً بطلاق امرأته ثم نكحها حين طلقها» .

لا يوجد أسوأ مما قالوا في حق رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله بادعائهم معرفة ما في نفسه بهذه الصورة : «وقع منه استحسان لزینب بنت جحش وهي في عصمة زيد وكان حريصاً على أن يطلقها زيد فيتزوجها هو» ويردّدون القول مرّة

(١) البخاري .

أخرى دون حياء وشيء من خُلُق : «وهو يخفي الحرص على
طلاق زيد إياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه» . فهل
يوجد إدعاء بعلم الغيب وما تُخفي الصدور أكبر من هذا؟!
وهل توجد تهمة بسوء الخُلُق أكبر من هذه؟ وفي حق رسول
الله!؟!

أقول : لم يذكر لنا الله سبحانه أنه وقع من النبي صلى
الله وبارك عليه وآله استحسان لامرأة في عصمة زوجها وكان
حريصاً على طلاقها منه ليتزوجها فمن أين جاءوا بهذه الفرية؟
وكيف تمت دعوى الألوهية والفرعونية من هؤلاء المفسرين في
معرفتهم ما في قلب رسول الله وكيف قبلها المسلمون؟ إنّه
إدعاء بمعرفة ما في قلب رسول الله ليسيؤوا إلى أنفسهم بما
ينسبونه إليه!! إنّ كل ما أبداه الله سبحانه وتعالى هو زواجه
منها فلم يُخفِ صلى الله وبارك عليه وآله عن زيد غير علمه
بأنها إحدى زوجاته اللاتي كتب الله له . وهذا هو ما أبداه
الله : ﴿... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا...﴾^(١)
ولكن المفسرين ادّعوا معرفة الغيب الذي في قلب رسول الله
والذي لا يعلمه إلا الله ورسوله . ثم اتهموه - بادعائهم علم
الغيب ومعرفة ما في نفسه - بفساد السريرة وإظهار غير ما
يبطن ، فأساءوا الأدب مع الله ومع رسول الله بهذا الإدعاء
الفاسد!! ولا يوجد ادعاءً للإلوهية والفرعونية أكثر من هذا ، إذ

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٣٧ .

لا يعلم ما في نفس الرسول صلى الله وبارك عليه وآله إلا الله سبحانه وتعالى . قال تعالى ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ...﴾^(١) . والمتفحص فيما قالوا لا يجد أسوأ ما يمكن أن يوصف به رجلٌ شريف يتقى الله ، فكيف سولت لهم أنفسهم أمراً كهذا في حق أشرف الخلق؟!

فبالله أقول إن الله تبارك وتعالى قد جعل في هذه الآية لنبيه من علو القدر وعظم الجاه ، نعماً خاصة به بجانب نعم الله تعالى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ...﴾ ولا عجب فقد جعل الله له كذلك فضلاً يغني به كما لله تعالى فضلاً يغني به!! قال تعالى ﴿... وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَنْعَمَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾^(٢) . وقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾^(٣) . بل جعل الله طاعته طاعته وبيعته بيعته في قوله تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(٤) وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...﴾^(٥) .

(١) سورة الإسراء الآية ٢٥ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٧٤ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٥٩ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٥) سورة الفتح ، الآية : ١٠ .

فكيف بصاحب هذا المقام العلي الأسنى الذي مدحه الله بقوله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) ، كيف به أن تتوق نفسه إلى امرأة في عصمة زوجها؟! ويُخفي ذلك لأنه يخشى أن يطلع عليه الناس؟؟ وما يُخشى اطلاع الناس عليه فهو من المساوي . . ، فما هذا الذي أخفاه الرسول صلى الله وبارك عليه وآله في نفسه - كما يقولون - من المساوي وأبداه الله؟ هل أعلمنا الله أن محمداً صلى الله وبارك عليه وآله كان يحب زينب وهي في عصمة زوجها زيد؟ ويُخفي ذلك بقوله ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾! وأن الله فضحه بأن أبدى للناس ذلك الذي أخفاه؟؟ كيف طابت نفوس هؤلاء المفسرين بأن يقولوا مثل هذا القول؟ وهو خلق يترفع عنه من كان يرجو المحافظة على دينه ، ناهيك عن من شرع الدين للناس وهو قدوتهم في السلوك في الظاهر والباطن ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢) ومدحه الله بعظيم خلقه!! سيد ولد آدم من بيده لواء الحمد والنبون آدم ومن دونه تحت لوائه؟ ﴿... وَتَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ ما هذه الخشية؟ قال علي عليه السلام «كنا إذا اشتد الوطيس نستتر برسول الله صلى الله وبارك عليه وآله». فأبي خشية هذه؟ أهي أن يطلع الناس على

(١) سورة القلم ، الآية : ٤ .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٢١ .

أنه يتوق لزینب وهي في عصمة زید؟؟ أهكذا یفسر القرآن في حق صاحب الخلق العظیم؟؟ وماذا أبدى الله غیر زواجه منها؟ أقول وباللہ التوفیق إن هذه الآية نزلت في مدح رسول الله صلى الله وبارك علیه وآله . ففي بدايتها جعل الله لرسوله صلى الله وبارك علیه وآله نعماً كما لله نعم كما ذكرنا آنفاً ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ...﴾ وأن الرسول صلى الله وبارك علیه وآله لما بلغ من الخلق العظیم أمر زیداً بأن یسك علیه زوجه حينما أراد أن یطلقها ، رغم أنه كان یعلم أن زینب من زوجاته اللاتي كتب الله له . فأخفی علمه هذا عن زید ﴿... وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ...﴾ أقول أخفی علمه بأنها من زوجاته المكتوبة له ، وهو الذي أبداه الله ﴿... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا...﴾ ، لا شعوره بحبه لها كما فسره المخطئون الذين انحصرت نفوسهم في ملاذ الدنيا والشهوات ، فلم يرتقوا إلى فهم علو القصد المحمدي الرفیع الذي طغت أخلاقه على إظهار علمه لزید ، خشية أن يتأذى زید لو أخبره بذلك العلم لأن زینب كانت زوجة زید حينذاك . وهذا معنى قوله تعالى ﴿... وَتَخْشَى النَّاسَ...﴾ . أي تخشى أن یسمع الناس منك ما يؤذيهم ولو كان علماً حقاً . فلم تفهم النفوس المريضة والعقول الضعيفة ولم ترتق إلى علو معرفة عظمة تلك الأخلاق فانحطت إلى ترجمتها في محیط محبة النساء ولم یجدوا لهم دليلاً على ذلك فاختلقوا بادعائهم بمعرفة ما في قلب النبي ليقولوا فحش

قولهم واتهامهم!!! ﴿... وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ بإظهار علمك الذي أطلعك الله عليه «بُعثت معلماً»^(١) ليعلم زيد وغيره من الناس أن زينب هذه ممن كتب الله لك من الأزواج، رغم أنها كانت في عصمته . قال تعالى ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النَّسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ...﴾^(٢) . ولكن خُلقك العظيم صَبَّغَ علمك يا مدينة العلم صلى الله وبارك عليك وعلى آلك! ﴿صَبَّغَةَ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صَبَّغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾^(٣) والأخلاق هي التي كانت من أجلها البعثة المحمدية فلا يوجد في النهج المحمدي والسلوك إلا قمة الأخلاق في كل أوجه الحياة ومن يرى غير ذلك نسأل الله له الهداية . وتصرف النبي صلى الله وبارك عليه وآله مع زيد كان قمة في عظمة الأخلاق التي قصرت دونها الأفهام . والعلم من الصفات الإلهية ، والأخلاق من الصفات البشرية . فكسوت علمك أخلاقاً ودثرت الجلال بالجمال ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾^(٤) . والحق جلال لا يطاق . . «لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره»^(٥) .

(١) ابن ماجة والدارمي .

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٢ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٣٨ .

(٤) سورة المدثر ، الآية : ١ .

(٥) مسلم .

ولكنك برزخ الحق والخلق ، والجلال والجمال ، وما أبديت
للخلق منك إلا الجمال . فأحبك الكل الحق والخلق . فصرت
للحب أساساً ، وللطف والرفقة والرحمة نبراساً ، ولستر الناس
في الدنيا والآخرة بالشفاعة لباساً . وكنت لهم بنعمتك عليهم
من خزي الذنوب مبدلاً لتعسهم ، وخالغاً جذور بؤسهم
ويأسهم ، لأنك كما قال تعالى ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ
أَنْفُسِهِمْ...﴾^(١) . لحرصك على مظهر نقائهم وطهرهم ،
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ
عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) صلى الله وبارك عليك
وعلى آلك وعلى من يصلي عليك .

وفي آية ﴿... وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ...﴾ دليل على
عدم لبس المرأة للنقاب كما يُشير إليه أيضاً قوله تعالى ﴿قُلْ
لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...﴾^(٣) إذ لو كان الوجه
مغطى كله بالنقاب فليس هناك ما يُغض البصر عنه وهذا يدل
على أنه لا يوجد تشريع يوجب على المرأة تغطية وجهها وإلا
لكان لا ضرورة لآية غض البصر . ولكن تغطية وجهها في
العبادات أولى خاصة في الطواف .

(١) سورة الأحزاب ، آية : ٦ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٢٨ .

(٣) سورة النور ، الآية : ٣٠ .

(٥)

الاتهام بالعبوس في وجه أعمى

صدرت الإرادة الإلهية - لا مسبوقه بزمن - في أكمل إبداعاتها بإبراز تاجها الأجلّ الأعظم من حيث الخلق والخلق ، عن علم إلهي ، هو مطلب الحياة الأزلية . فأشرقت القدرة في الوجود بإظهار حبيب الأزل محمد بن عبد الله ، وصلى عليه الله وملائكته قبل بروزه في عالم الحسّ قبل الزمن! وما الزمن إلا الليل والنهار الناتج عن حركة الفلك الكبرى التي ليست هي عين الزمن ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١) فأحبه وأكرمه وصلى عليه وأعطاه حتى أرضاه ، ومدحه بكلامه الأزلي القديم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) فخلا طبعه الذي فطر عليه عن الغلظة التي تنتفي وجوباً لتضادها وجود المدح الإلهي له .

ويؤكد الحق سبحانه ذلك - خلو طبعه عن الغلظة - في قوله تعالى ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا

(١) سورة يس ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة القلم ، الآية : ٤ .

غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ... ﴿١﴾ وكان إذا برزت
حاجة إلى الغلظة لموقف من المواقف جاءه أمر إلهي بها ﴿يَا
أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ...﴾ ﴿٢﴾ .
والجهد هنا لا يعني القتال لأن المنافقين يُظهرون الإسلام .
قيل إنّه جاء رجل أعمى إلى من جبل على عدم الغلظة ،
الممدوح من قبل خالقه العظيم بعظيم الخلق ، ليسأله عما بعث
به ، وهو مكارم الأخلاق . فقد قال صلى الله وبارك عليه وآله
«إنّما بعثت لأتمّ صالح الأخلاق» ﴿٣﴾ «وكان عنده صلى الله
وبارك عليه وآله أحد الكفرة - قيل هو أبي بن خلف وقيل
عتبة بن ربيعة- يريد النبي صلى الله وبارك عليه وآله له أن
يتزكى بالإسلام ، ويخرج عن ظلمات الشرك ، فلم يكن منه
صلى الله وبارك عليه وآله إلا أن مال بكليته إلى ذلك الأعمى
الذي جاء يسعى إليه في خشية من الله . وهذه هي مكارم
الأخلاق التي بُعث بها صلى الله وبارك عليه وآله ليتمّمها
والتي تنسجم مع ما مدحه به الله سبحانه من الخلق العظيم ،
ويستحيل أن يصدر عنه غير ذلك في تبليغ رسالته ، وحاشا
رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أن يعبس في وجه أعمى
لا يرى ، أو ينشغل عنه بتصدّيه لكافر لم يسلم بعد ، كلاثم

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٧٣ .

(٣) الجامع الصغير للسيوطي .

﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾^(١) . فما على الرسول إلا البلاغ وليس
الحرص على هداية من يبلغه . قال تعالى ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَيَّ
هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ...﴾^(٢) فغضب ذلك
الكافر وعبس في وجه النبي صلى الله وبارك عليه وآله وتولّى ،
كما عبس وأدبر قبله أخوه في الكفر الذي قال الله فيه ﴿ثُمَّ
عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾^(٣) - إذ العبوس والإدبار
صفة من صفات الكفار- وقام لعنه الله من مجلسه وتولى وأدبر
مستغنياً عن هذا الذي يفضّل الأعمى عليه . والنبي صلى الله
وبارك عليه وآله كان يتصدى له لإخراجه من ظلمة الشرك
وتزكيتة بنور الإسلام ، وما كان الله تعالى وهو حبيب محمد
صلى الله وبارك عليه وآله ليترك التصرف من ذلك الكافر في
وجه حبيبه دون تقريع ولا إدانة فقال تعالى فيه ﴿عَبَسَ
وَتَوَلَّى﴾^(٤) ذلك الكافر حين مجيء الأعمى إلى رسول الله
صلى الله وبارك عليه وآله ، (أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى)^(٥) ويتوجه
الخطاب الإلهي إلى ذلك الكافر مباشرة مبيناً له جهله وأنّ هذا
الأعمى يرجى له أن يتزكى ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي * أَوْ

(١) سورة عبس ، الآية : ١١ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٣٧ .

(٣) سورة المدثر ، الآيات : ٢٢ ، ٢٣ .

(٤) سورة عبس ، الآية : ١ .

(٥) سورة عبس ، الآية : ٢ .

يَذَكِّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿١﴾ ثم يتوجه الخطاب الإلهي إلى النبي صلى الله وبارك عليه وآله مؤنساً ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٢﴾ ما أعظم أخلاقك وأوسع حلمك الذي يجعلك تتصدى حتى لمن استغنى ، إشفافاً عليه ، وما ذلك إلا لأنك الرحمة المهداة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٣) . ولم يقل للمسلمين فقط . . ! وذلك يعني شمول الرحمة للكفار والجن وغيرهم . صلى الله عليك يا رحمة الله الواسعة ، فلا تشغل نفسك ولا تهتم بتولييه عنك واستغنائك (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّيَ) (٤) إذ ليس عليك إلا البلاغ ، ولا تكلف نفسك أكثر من ذلك ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٥﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (٦) ﴿... فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ...﴾ (٧) ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا

(١) سورة عبس ، الآيات : ٣ ، ٤ .

(٢) سورة عبس ، الآيات : ٥ ، ٦ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٧ .

(٤) سورة عبس ، الآية : ٧ .

(٥) سورة طه ، الآية : ٢ .

(٦) سورة الكهف ، الآية : ٦ .

(٧) سورة فاطر ، الآية : ٨ .

الْبَلَاغُ... ﴿١﴾ . ثم يمدح الله نبيه صلى الله وبارك عليه وآله باهتمامه وعدم تلهييه عن جاءه يسعى . فتصرفه صلى الله وبارك عليه وآله كان عكس ما فعل الكافر . فالكافر ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ وأدبر عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله الذي هو أعظم خلق الله وأجلهم وأشرفهم أما النبي فقد أقبل على الفقير الأعمى ولم يتله عنه ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كَلَّا...﴾ ﴿٢﴾ فليس ذلك من طبعك الذي جبلت عليه صلى الله عليك وعلى آلك ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ﴿٣﴾ ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ ﴿٤﴾ .

فانظروا الآن ما جاء في تفسير الطبري مما يخالف ما قدمناه هنا ، وهذا نموذج من مئات التفاسير التي اتفقت على عبوس الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله في وجه الأعمى ، بل تجد في التفاسير المترجمة باللغات الأخرى ما يعزز ما ذهبوا إليه من الإساءة الى الرسول العظيم جهلا بالتفسير أو تجاهلا : « أقبل ابن أم مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشغول بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الله تعالى ، وقد قوي

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٩ .

(٢) سورة عبس ، الآيات ٨-١١ .

(٣) سورة عبس ، الآيات : ١١ ، ١٢ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٩٩ .

طمعه في إسلامهم وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم ، فجاء ابن أم مكتوم وهو أعمى فقال : يا رسول الله علمني مما علمك الله ، وجعل يناديه ويكثر النداء ، ولا يدري أنه مشغل بغيره ، حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه ، وقال في نفسه : يقول هؤلاء : إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد ؛ فعبس وأعرض عنه ، فنزلت الآية» .

إنَّ العَبُوسَ من صفات الكفار كما قال تعالى في وصف كافر ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾^(١) ، وهو يلائم من كان يدعو النبي صلى الله وبارك عليه وآله إلى الإسلام حينما رأى النبي قد اهتم بالأعمى الذي جاءه فعبس وتولى . أما إذا نسبوا العبوس إلى النبي صلى الله وبارك عليه وآله فيكونوا بذلك قد نسبوا إليه التصرف بعكس ما بُعث به ، فقد قال صلى الله وبارك عليه وآله «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»^(٢) وهذا التصرف لا ينمُّ عن عظيم الأخلاق التي مدحه بها من خلقه في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣) فذهبوا في تفسيرهم إلى اختلاق قصة لا وجود لها إذ يقولون «حتى بدت الكراهة في وجه رسول الله» ولا دليل لهم على هذا . فمن الذي شهد لهم

(١) سورة المدثر ، الآية : ٢٢ .

(٢) مسند أحمد .

(٣) سورة القلم ، الآية : ٤ .

بأنه رأى الكراهة في وجه رسول الله؟ الأعمى أم الكافر، أم أن المفسر كان حاضراً للواقعة؟! ثم يقولون «يقول في نفسه . . .» فمن الذي يعلم ما في نفس النبي غير الله؟ إن الذي يدعي تلك المعرفة فقد ادعى الإلوهية وعلم الغيب!! ودعوى علمهم بما في نفس النبي تظهر أيضاً في قولهم «وقد قوي طمعه في إسلامهم» وحاشا رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله أن يُخالف ما أرسل به، فقد قال له تعالى ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾^(١) وذلك يعني قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾^(٢). فاختلاق «قوي طمعه في إسلامهم» ما هي إلا دعوى بمعرفة ما تخفي الصدور؛ فحسبنا الله لأن العلم بما في القلوب لا ينبغي لأحد غير الله سبحانه. وبهذه الدعوى الباطلة ينسبون إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله مخالفة ما أنزل الله إليه في نفسه، لأنه ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾^(٣) فهذه حدود الدعوة إلى الله. وتصف ألسنتهم الكذب فيقولون في اتهامهم للنبي صلى الله وبارك عليه وآله «يقول هؤلاء: إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد»، فينسبون إليه أسوأ ما يمكن أن يصف به إنسان أصحابه. وما هذا إلا اختلاق لا أدري كيف جاءوا به وتجروا على الله ونبيّه بذلك؟

(١) سورة النور، الآية: ٥٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢ .

(٣) سورة النور، الآية: ٥٤ .

ويفترون على الله الكذب في تفسير ما جاء به رسول الله الكريم صلى الله وبارك عليه وآله ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^(١) والقرطبي في تفسيره يقول «والعبس مخففا مصدر عبس يعبس عبوسا . والعبس هو ما يتعلق بأذنان الإبل من أبعارها وأبوالها» .

وقد ذكر أيضاً أن ابن أم مكتوم عاش في المدينة المنورة ، وكان يؤذن فيها قبل بلال لصلاة الفجر ولم يكن أذانه بمكة ، وسورة «عبس» مكّية بالاتفاق فإذا كان ذلك كذلك فلا يصح شيء أصلاً من نسبة ما قيل في هذا الأمر كحديث «أهلاً بمن عاتبني فيه ربي» وكل ما قيل في نسبة العبوس إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله .

وقد ورد أيضاً أن ابن أم مكتوم كان يحمل راية سوداء في معركة القادسية فهل يا ترى أبصر بعد ذلك ومتى؟؟ ذكر ابن كثير «عن انس بن مالك قال : رأته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء يعني ابن أم مكتوم» .

كما أن الذين ذكروا ممن كان يعرض عليهم النبي صلى الله وبارك عليه وآله الإسلام - حين حضور ابن أم مكتوم للنبي صلى الله وبارك عليه وآله - وهم عتبة ابن ربيعة أو أبي بن خلف كلهم من أهالي مكة . فكل ذلك لا يكون إلا بمكة وابن أم مكتوم عاش بالمدينة وكان مؤذن النبي صلى الله وبارك عليه وآله فيها .

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ٢٨ .

إنّ التفسير الموروث هذا يقول عن أحب الخلق إلى الله تعالى أنّ الله بعثه برسالة اختصه بها فتصرّف بعكس ما أرسله الله به . ورغم أنّه بُعث ليتمم صالح الأخلاق فلمّا جاءه من يسأله عمّا بُعث به قابله بسوء الأخلاق حيث عبس في وجهه وأعرض وتولّى عنه أي أنّه خالف ربه ورسالته وتصرّف بعكس ما بُعث به . هكذا وصفه تفسيرهم في أخلاقه التي مدحه الله بها وهي صفة سبّ الله بها كافرًا في قوله تعالى ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَيَسَّرَ﴾ . أهكذا يوصف رسول الله بالعبوس في وجه المساكين وسوء الخلق ليكون خطأه أساسياً في تبليغ الرسالة وهو العمل بعكس ما بُعث به فتنتفي طاعته لله الذي جعل طاعته طاعته وليكون مدح الله له بالخلق العظيم في غير محله وليعطوا من يعارضه الحق في معارضته - باعتبار أنّه لم يطع الله في تبليغ رسالته - رغم قول الله تعالى ﴿... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾^(١) وقوله تعالى ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾^(٢) .

(١) سورة النور، الآية : ٦٣ .

(٢) سورة الحشر، الآية : ٧ .



(٦)

الاتهام بنطق الشيطان على لسانه

أجمل الخلق على الإطلاق . . ولم يخلق الله البارئ
سبحانه أجمل منه منذ بدأ الخليفة ولم يصور المصور مثله في
كل ما أبدع من صور الجمال والحسن والبهاء «وليس في
الإمكان أبدع مما كان» كما قال الغزالي رحمه الله حتى قال فيه
من أحسن شعراً :

أجمل منك لم تر قط عيني
وأحسن منك لم تلد النساء
خُلقت مبرءاً من كل عيب
كأنك قد خلقت كما تشاء

وبلغ في حسن الخلق ما كان محل المدح ممن خلقه حباً في
ذاته الشريفة وانزل فيه قرآناً يتلى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ
عَظِيمٍ﴾^(١) ولحبه له كان وكيلاً له فيما يفعل ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ
رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾^(٢) ومن عظمة حبه له قال له ﴿لَيْسَ

(١) سورة القلم ، الآية : ٤ .

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ١٧ .

لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ... ﴿١﴾ حتى يكون وكيله هو الفاعل عنه فيما يراد . . فيكون ما يريد فعله يفعلهُ الوكيل سبحانه . . بل حتى ما يريده ، هو الذي يريده الله الوكيل عزّ وجلّ ويفعله . . . وصلى عليه هو وملائكته ولم يصل على نبي من الأنبياء قبله تحديداً بل صلى على من صلى عليه أضعافاً ، وأمر الذين آمنوا كذلك بالصلاة عليه ومن يخالف أمر الله في الصلاة عليه فقد وضع نفسه في مكانة من أمره الله بالسجود لعبده ولم يفعل فطرد إلى يوم الوقت المعلوم . . وحذر من مخالفته ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾ ﴿٢﴾ .

لأنه ليس له من الأمر شيء فالأمر أمر الله ، وأقسم على سلب الإيمان بمن يجد حرجاً في قضائه إذا احتكم إليه ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٣﴾ كما نفى الإيمان عمن يحتكم إلى غيره . . ويبدو من ذلك انه الغاية من الخلق والمقصد الأسنى الإلهي حيث أخذ العهد على جميع رسله من آدم إلى عيسى عليهم السلام أن يؤمنوا بمحمد صلى الله وبارك عليه وآله بجانب إيمانهم بالله وينصروه قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٦٥ .

وَحَكْمَةٌ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ
وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا
قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾ وفضله عليهم
جميعاً . رغم عدم التفرقة في الرسالة ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ
مِّنْ رُّسُلِهِ﴾ ﴿٢﴾ وجعله خير الأنبياء صلى الله وبارك عليه وآله
«يا فاطم نبينا خير الأنبياء وهو أبوك وشهيدنا خير الشهداء
وهو عم أبيك ومنا من له جناحين يطير بهما في الجنة حيث
شاء وهو ابن عم أبيك ومنا سيّد شباب أهل الجنة سبطا
هذه الأمة الحسن والحسين وهما ابناك والذي بعثني بالحق
لأبوهما خير منهما ومنا المهدي» ﴿٣﴾ . . بل اتخذه نبياً قبل
إكمال خلق آدم أبي البشر عليه السلام . ففي الحديث «جعلت
نبيا وأدم بين الروح والجسد» ﴿٤﴾ وقرن إسمه بإسمه في كلمة
التوحيد وفي عبادته تعالى في أهمها وهي الصلوات والنداء
لها . . وجعل طاعته طاعته وبيعته بيعته وفعله فعله ولا يقبل
أحدا خلا جوفه من حُب محمد صلى الله وبارك عليه وآله
لأنه لا إيمان لمن لا يحب النبي وآله . اللهم إنا عاجزون عن أن
نصلي عليه كما تحب أنت أن يصلي عليه فصلي اللهم أنت

(١) سورة آل عمران ، آية : ٨١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥ .

(٣) مجمع الزوائد .

(٤) الترمذي .

عليه وعلى آله فإنه حبيبك الأوحيد الذي تقبل شفاعته في من
ينزل عليه غضبك . .

وإذا المذلل إلى جهنم ساقكم

هل غير أحمد من يُجبر ويُسعد

اللهم بلغنا الغاية في حبه حتى لا نرى ولا نسمع غيره .
أشار الحبيب إلى بعض ما حباه الله به رفقاً بنا لمعرفة قدره
حتى لا نسقط في التقليل من قدره الشريف فلا تقبل لنا توبة
بعد ذلك . فيقول وهو مُعلم التواضع وأكثر الخلق زهداً في
الدنيا ، حيث كان يرقع ثوبه ويخصف نعله وينام على حشو
الليف ، يقول مشيراً إلى سمو مكانته وعلو رفعتة وفضله على
المرسلين أجمعين «لو كان موسى بين ظهرانينا ما وسعه إلا أن
يتبعني»^(١) وذلك حينما رأى عمر بن الخطاب يقرأ في صحيفة
من كتاب اليهود . وقال صلى الله وبارك عليه وآله «آدم فمن
دونه تحت لوائي»^(٢) «أدبني ربي فأحسن تأديبي» «أنا مدينة
العلم وعلي بابها»^(٣) «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا
فخر»^(٤) «أنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي»^(٥)

(١) مسند أحمد .

(٢) مسند أحمد .

(٣) مجمع الزوائد .

(٤) مسند أحمد .

(٥) البخاري .

«والذي نفسي بيده لو أن أحدا صفن بين الركن والمقام
وصلى وصام ومات على ذلك وهو مبغض لنا أهل البيت
دخل النار»^(١) «لست كأحدكم فإني أبيت يطعمني ربي
ويسقيني»^(٢) .

قالوا عن قمة القمم . . رغم ذلك . . إنه ليس له فضل
على بقية المرسلين ونسبوا إليه حديث «ولا يقولن أحدكم أنني
خير من يونس بن متى»^(٣) وأعطوا العصمة لراويه وحاربوا من
يطعن فيه لينتقصوا من علو قدره رغم قول الله تعالى ﴿...
وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾^(٤) ورغم
إثبات تفضيل الله لبعض الرسل وأفضلهم الحبيب النبي
محمد صلى الله وبارك عليه وآله ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ
عَلَى بَعْضٍ...﴾^(٥) ولا يعني الإصرار على صحة هذا
الحديث إلا الإصرار على الانتقاص من فضله على يونس عليه
السلام لا محبة فيه!!

وجعلوا للشيطان عليه سبيلاً بينما ينفون سلطة الشيطان
عن أحد أصحابه إذا سلك فجاً . . قالوا إن الشيطان ألقى على

(١) مجمع الزوائد .

(٢) صحيح بن حبان .

(٣) مسند أحمد .

(٤) سورة القلم ، الآية : ٤٨ .

(٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٣ .

لسانه وهو يصلي «تلك الغرائق العلا وإن شفاعتها لترتجى»
 لينفوا العصمة عنه^(١)!! ليقولوا أنه نطق بآيات شيطانية وذلك
 تفسيرهم لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا
 نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...﴾^(٢) رغم قول
 الله تبارك وتعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ
 عَنِ الْهَوَى﴾^(٣) في السورة نفسها التي نسب إليه فيها حديث
 الشيطان على لسانه ولقد نسبوا إليه بهذا ما جعل غير المسلمين
 يتطاولون على أشرف وأعظم الخلق ويستهزؤون استناداً على
 هذه الأحاديث ليقولوا أنه نطق بآيات شيطانية!!!

وكذلك قالوا تحده الشيطان وهو واقف بين يدي الله ليقطع
 عليه صلاته حتى اضطر لقتاله وخنقه «فخنقته فإني لأجد
 برداً لسانه على ظهر كفِّي»، ولولا دعوة أخي سليمان
 لأريتكموه مربوطاً بالسارية تنظرون إليه^(٤)!! بينما نسبوا إليه
 قوله في عمر بن الخطاب «ما سلك فجا إلا سلك الشيطان
 فجاً غير فجّه»^(٥). ولا يستقيم وجود هذين الحديثين مع صحة
 العقيدة لأن ذلك يعني أن المعلم صلى الله وبارك عليه وآله

(١) لباب النقول للسيوطي .

(٢) سورة الحج، الآية : ٥٢ .

(٣) سورة النجم، الآيات : ٢، ٣ .

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .

(٥) البخاري .

الذي قال «بُعِثت معلماً» أقل درجة ممن أخذ عنه العلم وأنّ علاقة صاحبه عمر مع الله أقوى من علاقته هو مع الله الذي اختاره رسولاً يهدي به عمر بن الخطاب من ضلالة الشرك ودفن ابنته حيّة إلى الايمان بالله ورسوله!! فكيف يهرب الشيطان من عمر ويعترض رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله؟ فإذا اعتقدنا صحة هذين الحديثين فمن يكون المؤيد من الله؟ الذي يهرب الشيطان من طريقه أم الذي يعترضه في صلاته ويقاتله؟ وقالوا إن مع النبي شيطان كافر حين أرسله الله ولكن الله أعانه عليه فأسلم فلا يأمره إلا بخير!! يعني انه يتلقى الأمر بالخير من شيطان أسلم!! لا ادري هل بجانب الأوامر الإلهية توجد أوامر خير من الشيطان المسلم؟ وكيف التفريق بين هذه الأوامر؟ وما هي حدود الخير الذي يأمر به هذا القرين وهل تصل إلى التشريع؟ فإنّ التشريع خير والقرآن خير!! جاء في صحيح مسلم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله قال لعائشة «... أقد جاءك شيطانك؟ قلت يا رسول الله أو معي شيطان؟ قال نعم . قلت ومع كل إنسان؟ قال نعم . قلت ومعك يا رسول الله؟ قال نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم»^(١) وفي حديث آخر «ما منكم من أحد إلا قد وكل به قرين من الجن قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال وإياي إلا أن

(١) سنن الترمذي .

الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير»^(١) وقالوا إن الشيطان يجري منه مجرى الدم ففي مسند أحمد بن حنبل «لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من أحدكم مجرى الدم قلنا ومنك يا رسول الله قال ومني ولكن الله أعانني عليه فأسلم»^(٢) .

فتكون صورة النبي الأظم صلى الله وبارك عليه وآله عندهم أنّ كلامه - إن لم يكن بعض آيات القرآن أيضا كما قالوا في آية الغرانيق - يمكن أن يكون من شيطان يلقي على لسانه ما يقول فالسنة - إن لم يكن القرآن - يمكن أن تكون كما يزعمون من أوامر شيطان اسلم لا يأمره إلا بخير!!! ولذلك يعتقدون في حديث الكتف والدواة وصحة ما ذهب إليه عمر بن الخطاب في ذلك الحديث «أن الرسول غلبه الوجع»^(٣) و«إنه ليهجر»!!! ورفض أن يؤخذ عنه ما يقول - ولا يكون ذلك إلا في حالة اعتقاد عدم وجود العصمة في هدي النبي صلى الله وبارك عليه وآله - وقال عمر حسبنا كتاب الله! وقالوا أن عمر أصاب وانه كان ينصح لله ولرسوله!! فإن الآية عندهم هي فليحذر الذين يخالفون عن أمر عمر حتى ولو كان النبي المعصوم!!! لأن العصمة لا وجود لها عندهم بعد أن ثبت

(١) مسلم .

(٢) الترمذي .

(٣) البخاري .

عندهم إلقاء الشيطان على لسانه ما يقول ؛ وتغيب اليهود
لعقله بالسحر ، وهل الشيطان الذي ألقى إليه هو الشيطان الذي
أسلم أم شيطان آخر لم يُسلم لأن كلام الغرائق ليس خيراً
بالتأكيد ، وذلك يعني عندهم أن هناك شيطاناً آخر لم يسلم
أيضا له سلطان عليه ولا يأمره بخير!!!
غفرانك اللهم أو أن ذلك الشيطان كما يقولون كان منافقاً
أظهر الإسلام وهو يبطن الكفر ولا يأمره بخير!!! ولا حول ولا
قوة إلا بالله!!



(٧)

الاتهام بأنه كان يهجر

هل يوجد في علماء المسلمين من يعتقد أن في أُمَّة مُحَمَّد صَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ يَفْضُلُ النَّبِيَّ فِي عِلْمٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ أَوْ دِينٍ أَوْ خَلْقٍ؟ وَهَلْ هُنَاكَ مَنْ يُؤَيِّدُ اللَّهَ تَعَالَى دُونَ النَّبِيِّ وَيَفْضِلُ أَعْمَالَهُ عَلَى فِعْلِ النَّبِيِّ وَيُؤَيِّدُ مَوَاقِفَهُ دُونَ النَّبِيِّ إِذَا اخْتَلَفَا؟ وَهَلْ يِعَاقِبُ اللَّهُ النَّبِيَّ إِذَا رَفَضَ أَنْ يَأْخُذَ بِرَأْيِ أَحَدٍ أَصْحَابِهِ؟! وَهَلْ يَوْجَدُ أَحَدٌ أَكْبَرَ الصَّحَابَةِ وَرَدَتْ عَنْهُ مَخَالَفَةُ النَّبِيِّ عَمْدًا فِي حَضْرَتِهِ وَحَالِ دُونِ تَنْفِيذِ أَوْامِرِهِ وَرَغْمَ ذَلِكَ أَطَاعَهُ النَّاسُ؟ وَهَلْ يَصِحُّ لِصَحَابِي أَنْ يَتَّهَمُوا النَّبِيَّ فِي عَقْلِهِ وَيَصِفُوهُ بِالضَّعْفِ فِي حَضْرَتِهِ؟!؟

كل المسلمين يقولون إن النبي صلى الله وبارك عليه وآله لا يوجد من هو أعلم منه في أمته ولا من هو أكرم منه ولا أعز ولا أفضل عند الله تعالى ، لا في أمته ولا في الرسل والأنبياء السابقين ولا مُشَرِّعٍ غَيْرِهِ فِي رِسَالَتِهِ . وَهَذَا هُوَ الْإِعْتِقَادُ الصَّحِيحُ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ كُلُّ مُسْلِمٍ . فَهَلْ هَذَا مَثْبُوتٌ فِي كِتَابِ السَّنَةِ الَّتِي وَصَلْتُنَا؟

كيف بك أيُّها المسلم إذا قيل لك إن النبي أمر من كانوا معه من الحاضرين بفعل شيء ما فاعترض أحدهم أمر النبي

صلى الله وبارك عليه وآله ، وقال للحضور لا تفعلوا ولا تستجيبوا لأمر الرسول فهو رجل مريض غلبه الوجع وإنه ليهجر ، ولا حاجة لنا بما يريد أن يفعل وعندنا كتاب الله!! ألا يعني هذا مخالفةً ومعارضةً لله تعالى لنص القرآن في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾^(١)؟ ترى هل هذا موجود في كتب السنة؟ وإن وُجد فهل هو مدسوس فيها؟ وهل يوجد مسلم يقول إن هذا القول موجود في كتب السنة وإنه صحيح ولا غبار عليه وغير مدسوس فيها وإنه يمكن عصيان النبي واتهامه في حضرته في قواه العقلية بأنه يتكلم من غلبة الوجع لذلك يجب أن لا يؤخذ بكلامه؟؟!!!

أصبح هذا القول من صحابي محترم يُحب النبي مطيع لله في قوله ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ﴾^(٢) أيكون هذا القول من رجل يؤمن بأن النبي صلى الله وبارك عليه وآله معصوم كما قال تعالى ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾^(٣)؟ أيقول مثل هذا من يعتقد عصمة النبي؟ وهل المرض يؤثر في عقل النبي حتى يُرْفَضَ أن يُؤخذ منه؟ وذلك يعني أنه يتهمه في عقله!! وكيف يعلم من قال هذا القول الشنيع أن المرض أثر على

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٢٤ .

(٢) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

(٣) سورة النجم ، الآية : ٣ .

عقل رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله؟؟ هل أطلعه الله على دواخل النبي وعقله فعلم أن النبي يهذي من المرض ولا يتكلم عن وعي وسوف يُخَرَّب الرسالة التي جاء بها من عند الله وانه سوف يغير كلام الله ورسالته لأنه يتكلم من غلبة الوجد فهو يهذي؟؟!! قالوا إن الذي منع الحاضرين من الاستجابة لأمر النبي ووصفه بالهذيان وغياب العقل هو عمر بن الخطاب!!! فقد جاء في البخاري عن عبيد الله ابن عبد الله عن ابن عباس قال : «لما اشتد بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعه قال «أئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده» قال عمر إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجد وعندنا كتاب الله حسبنا . فاختلفوا وكثر اللغط قال «قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع» فخرج بن عباس يقول «إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه» وفي رواية صحيح مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أئتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقالوا «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يهجر» وإذا كان عمر قد رفض أمر النبي بإحضار الكتف والدواة ومنع الحاضرين من أن يستجيبوا لأمره بحجة أنه مريض غلبه المرض ويهذي فلماذا لم يرفض أمر النبي حينما قال لهم «قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع» لنفس السبب الذي رفض به الأمر السابق ويرفض الخروج من عنده؟؟!! .

القول «إن النبي صلى الله وبارك عليه وآله غلبه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله» يشكك فيما يأمر به النبي صلى الله وبارك عليه وآله حتى لا يؤخذ عنه ما يريد أن يوصي به لهداية الأمة! بل هو اعتراضٌ على ما يريد أن يفعله النبي صلى الله وبارك عليه وآله في أمر هو خاصٌ برسالته ، ألا وهو هداية الأمة من الضلال ، وهو أمرٌ لا يكون لغيره الحكم فيه لقول الله تعالى ﴿فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ﴾^(١) . فما زال نبياً ورسولاً رغم مرضه حتى يلقي الله ، وواجبٌ على كل مسلم طاعته واتباع أمره لأن طاعته هي طاعة الله سبحانه . فكيف يُعصى من قبل المسلمين ويرفضون قوله ، وهو - كما قال تعالى - ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾^(٢) والله سبحانه يقول ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾^(٣)؟ وكيف يرون أن الأصوب أن لا يأخذوا عنه؟ هل هو الشك فيما سيقول لهم أم أنه أصبح متهماً في صحة عقله! أو ربما يخرب عليهم ما جاء في كتاب الله أو يأتي بشيء يخالفه؟! وهل يصح صدور ذلك من عمر رضي الله عنه؟ وإذا قال عمر «حسبنا كتاب الله» ، فكتاب الله يلزمهم بالأخذ عن النبي ، لا رفض ما يقول لهم

(١) سورة الحج ، الآية : ٦٧ .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٣ .

(٣) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

ويأتيهم به ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...﴾^(١)!! فصورة النبي صلى الله وبارك عليه وآله عندهم هو ذلك المريض الذي لا ثقة لهم فيما يقول لما اعتراه من المرض ، فلا يؤخذ عنه كرسول كأنَّ المرض قد أنهى رسالته ورفع عصمته عنه وجردّه عن نبوته ورسالته ، وأصبح شخصاً عادياً مريضاً لا يُقبل منه رأي!! وأصبح قول غيره عندهم أفضل من قول النبي وأمره!! فإذا اعتقدنا بصحة هذا الحديث وأنه غير مدسوس واعتقدنا صحة نسبته لعمر فماذا أبقينا لعمر من الإسلام؟ لأنه لا يستقيم إسلام أحد مع معارضته للنبي ورفض أوامره واتهامه في عقله!!! فالنبي صلى الله وبارك عليه وآله أمر بإحضار الكتف والدواة ، وعمر أمر بمخالفته وعدم إحضار الكتف والدواة!!!! فإذا قيل إنَّ عمر محق فيما قال إذاً من المؤيد من الله الذي يجب اتباعه وعدم عصيان أمره؟؟

(١) سورة الحشر ، الآية : ٧ .



(٨)

اتهامه بالشك في احياء الله الموتى

جاء في الحديث عن النبي صلى الله وبارك عليه وآله «تعلموا اليقين»^(١) وقال علي عليه السلام «الصبر رأس الدين ولا إيمان كاليقين» فالإيمان إذا بلغ غايته صار يقيناً فينتفي حينذاك الشك وتزول الظنون . والإيمان يزيد وينقص حتى يصير يقيناً فيستقيم التأرجح باليقين . واليقين يكون بالتعلم - ولذلك لا بد من شيخ خبير- وذلكم يعني نوعاً من السلوك أي أن العلم النظري وحده لا يفضي إلى اليقين وغايته الإيمان . والسلوك لا بد له من مرشد يعرف مدارج السالكين وعقباتها في منازل الإيمان واليقين . والإيمان يتعلق بالغيب فهو علم نظري متعلق بالمعنى لا بالشهادة .

والله سبحانه وتعالى هو عالم الغيب والشهادة والغيب متعلق بالخلقين ، لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء ، ولا يوجد غيب يحتاج هو للاطلاع عليه . فالأمر عنده كله شهادة لأنّه هو الصانع لكل . فالغيب بالنسبة للمخلوقين أمر تتوق الأنفس للاطلاع عليه ومعرفته بحثاً عن اليقين . وإذا

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي .

وصل الإنسان إلى الشوق لمعرفة الغيب فقد صار الإيمان بالغيب يقيناً عنده يشواق لمعرفة ذلك علم اليقين ووراء ذلك حق اليقين ثم عين اليقين . وكل ذلك جائز إدراكه للعبد ما لم ينكر . فإذا أنكر العبد الغيب وقف حيث هو في معتقده وعلمه ﴿... وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾^(١) .

لأن العلم مخزنه المجهول العظيم الذي هو الغيب أو عالم الغيب . فمنكر الغيب واقف عن البحث والتفكير الذي هو العبادة التي لا تعدلها عبادة . ولا يزيد بإنكاره إلا جهلاً لأن الإنكار ليس علماً . وقد جاء «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»^(٢) ومدح الله جل جلاله المتفكرين في محكم تنزيله في قوله ﴿... وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٣) وسئل الجنيد رضي الله عنه عن اشرف المجالس فقال «مجالسة الفكرة في ميدان التوحيد» .

وإذا وصل المرء إلى اليقين انتفى عنه الشك فلا وجود له عنده . وقد روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام قوله «لو كشفت لي الحجب ما ازددت يقيناً» وهذا منتهى ما يصل إليه العبد حيث لا يزيده ولا ينقصه أمر من الأمور فيما وصل إليه

(١) سورة غافر ، الآية : ٧٨ .

(٢) اللؤلؤ المرصوع للقاوجي .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٩١ .

من اليقين . ولا يتأثر بالحوادث كعمامة الخلق! .
والرسل صلوات الله وسلامه عليهم هم قمم أممهم لاختيار
الله لهم ، ولو كان بين الأمة من هو افضل من نبيهم لكان هو
الأولى باختيار الله له إذ يستحيل أن يختار الله لنفسه رسولاً
ويصطفيه ويكون هناك من هو احسن منه وافضل في علم أو
خلق أو خلق ، كما يقول الضالون بأفضلية أحد الصحابة على
افضل رسل الله كلما اختلفا ؛ فيؤيد الله ذلك الصحابي
ويؤاخذ النبي!! كأن الله قال لنبيه فليحذر الذين يخالفون عن
أمر ذلك الصحابي أو ما آتاكم ذلك الصحابي فخذوه!!
فالرسل هم كلمات الله التامات التي يخرج الله بها عباده
من الظلمات إلى النور ، وكان منهم عيسى عليه السلام ﴿...
رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^(١) وهم الذين
يأخذون بأيد العباد إلى الإيمان وإلى اليقين من مزابل الشك
وجحيم التأرجح . فيستحيل عليهم أن يوصف أحدهم بشك
فيما هو عليه من ربه بعد أن يختاره الله رسولاً إلى عباده
لهدايتهم إليه تعالى وتعريفهم به . ومن يقول بغير هذا فقد
وضع نفسه حكماً عالماً فوق الأنبياء والرسل ؛ وأجرى حكمه
عليهم بمعرفته القاصرة جداً ؛ وتعالى وتكبر بعلم يستحيل أن
يمده الله به ويحجبه عن رسله وأنبيائه المصطفين ، الذين
اصطنعهم الله لنفسه وحبّاهم وصلى على أفضلهم!!

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

فقد نسبوا إلى أفضل رسل الله الذي بعث معلماً أنه قال «نحن أولى بالشك من إبراهيم»^(١) وذلك حينما ذهبوا في تفسير قول الله تعالى في حق إبراهيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيَظْمَنًا قَلْبِي﴾^(٢) وظن الكثيرون منهم أن إبراهيم عليه السلام شك في قدرة الله على إحياء الموتى . ومن يعتقد ذلك فقد كفر لأنه كفر نبياً هو أبو الأنبياء!!! وحاول بعضهم أن يلين الحكم فقال إن إبراهيم شك في استجابة الله له في سؤاله!! وكيف يكون ذلك وهو تعالى القائل ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^(٣) وقد سأله إبليس فأجابه حيث قال ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قال فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾^(٤) فكيف يشك أبو الأنبياء في استجابة الله له وهو خليله؟ .

إن إبراهيم عليه السلام ما كان سؤاله عن صلاحية القدرة الإلهية وحاشا أن يشك فيها . بل سؤاله دلالة على عمق إيمانه بها . حيث طلب معرفة كيفية إحياء الموتى . وطلب معرفة

(١) البخاري .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

(٣) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .

(٤) سورة الحجر ، الآيات : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ .

الكيفية دلالة على اليقين بإمكانية حصول الأمر المراد مع عدم معرفة كيفية حصوله . والكيفية لا تتم معرفتها إلا بالممارسة فسؤاله كان طلباً لمعرفة ممارسة إحياء الموتى . وهذا أمر يكون لكل من يصل إلى مقام الخلة . . . مقام إبراهيم . . . ومن دخله كان آمناً من كل شيء فلا يعمل عملاً يخشى فيه خلاً . وفي هذا المقام يحيي الموتى كما كان عيسى عليه السلام يفعل . ورغم أن إبراهيم عليه السلام كان في هذا المقام ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾^(١) لكنه لم يمارس إحياء الموتى . وطلب الإذن من الله تعالى ﴿... رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى...﴾^(٢) تأدباً في الإقدام على عمل بين يدي الله . فكان السؤال من الله تعالى ﴿... أَوْلَمْ تُؤْمِنْ﴾ وليس المقصود به الإيمان بالقدرة أو الإيمان بالله بل أن من كان في هذا المقام يحق ويمكن له أن يمارس إحياء الموتى وهو أمر يعرفه إبراهيم عليه السلام وكل من اختصه الله برحمته فالسؤال من الحق جلّ وعلا بـ ﴿... أَوْلَمْ تُؤْمِنْ﴾ هو تزكية من الله جلّ وعلا وشهادة لإبراهيم أنه ممن يحق له إحياء الموتى فلماذا يشك في مقامه وقدرته ﴿... أَوْلَمْ تُؤْمِنْ﴾ بأنك من أهل ذلك وأنت خليلي؟ ﴿قَالَ بَلَى...﴾ أي أني مؤمن بذلك يا رب ﴿... وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على ذلك بشهادة منك على أني من أهل

(١) سورة النساء ، الآية : ١٢٥ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

ذلك . قال ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾^(١) فقام إبراهيم عليه السلام بمباشرة إحياء الموتى بنفسه وهي الكيفية التي كان عليها مدار السؤال وهو أمر بعيد كل البعد عن شك يكون من خليل الرحمن عليه السلام . ولا يقول بذلك إلا من يحمل رجساً من علم لا ينفع وما أجرأهم!

ثم جاؤوا في علمهم بدم كذب وقالوا إن أفضل الرسل قال «نحن أولى بالشك من إبراهيم» كبرت كلمة تخرج من أفواههم . . . فإن كانت الرسل تشك فمن يُعلم الناس اليقين ومن يُعرفهم بالله؟؟ وبهذا الذي قالوه يريدون أن يثبتوا الشك عند إبراهيم عليه السلام وعلى أفضل الرسل صلى الله وبارك عليه وآله . ولو قيل لأحدهم أو نسب إليه الشك في اعتقاده ودينه لتبرأ من ذلك بكل ما يقدر بل لقاتل من ينسب إليه ذلك فنسبة الشك إلى النبي جائر عندهم ، ولا يجوز عليهم ولا على أئمتهم في مذاهبهم التي يأخذون عنها أو مصادرهم التي يستندون إليها .

اللهم إنا نبرأ إليك أن ننسب إلى رسلك شكاً في إيمانهم أو نقصاً في يقينهم .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

(٩)

الاتهام بأن العلاقة مع الله تكون بدونه

قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ
دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ
يُرْشَدُونَ﴾^(١).

فهم مطموسو البصيرة من عظمة هذه الآية التي استبطنت
مدح النبي صلى الله وبارك عليه وآله وأشارت إشارة دقيقة إلى
سمو معرفته دون غيره بالله جل وعلا ليكون دليلاً للسائلين
عنه تعالى ، فهموا منها لكثافة حسهم وتبلد فهمهم ، وغلف
قلوبهم الاستغناء عن المعلم!!!

ولو نظروا بعين مستبصر غير متعجل ، ومتدبر غير
مستدبر ، لوجدوا أنفسهم في حاجة للمعلم حتى في كتب
الجغرافيا والفيزياء والحساب بل في لغتهم التي يتحدثونها!!!
فكيف لا تكون بهم حاجة للمعلم الأكبر في أعظم وأهم كتاب
ما فرط من شيء في الوجود من كل علم وكل موجود؟
قام هذا المعلم بترجمة هذا الكتاب من كلام الحق سبحانه
الذي تكلم به بغير جارحة ولا لغة ولا صوت مما يعلم الناس ،

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .

إلى لغة عربية بلسان عربي مبين . وكان كما قال تعالى ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾^(١) . . كيف يستغني مستغن عن هذا المعلم الذي ترجم عن الله هذا الكتاب وما فيه من كل العلوم ويقول : لا حاجة لنا بهذا العالم والمعلم الذي عقل كل ما في هذا الكتاب عن الله الذي يحوي كل شيء وكل علم في الوجود ، وقام بترجمته إلى اللغة العربية؟؟ كيف لا تكون هناك حاجة ماسة وملحة لهذا المعلم في اكبر العلوم التي جاءت بها كل الرسل ألا وهي معرفة الله جل شأنه!!

إنها الأصل في كل الرسائل السماوية التي جاءت بها رسل الله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾^(٢) . فكانت الرسل صلوات الله على نبينا محمد وعليهم جميعاً هم كلمات الله التامة . قال تعالى في عيسى عليه السلام ﴿ . . . رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ . . ﴾^(٣) فالرسل هم كلمات الله التامة وأفضلهم سيد ولد آدم الذي أخذ عليهم العهد للإيمان به ولنصرته ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ

(١) سورة الحاقة ، الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ١٧١ .

وَلَتَنْصُرُنَّهُ ﴿١﴾ وهو القائل «بعثت معلماً» وما العمل إلا بالكلمات ومن الكلمات التامة التي من تمسك بها أعيد من الضلال ومن الشيطان ، وأعين الأنس والجنان ، وهوام الزمان ، وبدأ سيره في السر والإعلان ، تابعاً طريق من أرسله الرحمن ، لهدايته وهداية كل الإنس والجنان ، سيدنا وشفيعنا وحبیبنا محمد بن عدنان ، الذي جعل الله محبته هي الإيمان . . وطاعته طاعة القوي الديان ، والأخذ منه عن الله لا مباشرة من الملك الديان كما اعتقد أهل التكبر والجهل والخذلان ، الذين قالوا إن الله لا يحتاج إلى دليل . وما الدليل إلا الوسطة . . الحق أن الله لا يحتاج إلى أحد فإنه غني عن العالمين ، ولكن يتخذ من يشاء لما يشاء ولا يُسأل عما يفعل . . وما كان يعجزه سبحانه وتعالى أن يلقي مصحفاً لكل إنسان في منزله ، وما كان يعجزه أن لا يكون هناك جبريل بينه وبين رسوله الكريم ، حيث أن الرسول صلى الله وبارك عليه وآله أقرب إليه من جبريل ؛ إذ مبلغ جبريل سدرة المنتهى ومحمد صلى الله وبارك عليه وآله في مقام «أدنى» من قاب قوسين لأن كلمة «أو» الواردة في الآية ليست للتشكيك ، تعالى الله أن يكون في كلامه شك أو في بيانه تشكيك ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (٢) ، . . وما كان يعجزه سبحانه أن لا يكون هناك رسول

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٨١ .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٩ .

أصلاً فتكون علاقة كل إنسان بربه مباشرة دون الرسول كما يعتقد أهل الأفهام المنكوسة والبصائر المطموسة . ﴿... إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ (١) .

فالرب جلّ شأنه في هذه الآية ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٢) يوجه عباده إلى رسوله إن أرادوا معرفته ، كي يستجيبوا له ويستجيبوا لرسوله الكريم فالتوجه لمعرفة الله وكيفية التعامل معه لا تكون لبشر إلا عن طريق من أرسله وأحبه ومدحه . وقد فهم مطموسو البصيرة أن الآية هي ﴿وَإِذَا سَأَلَنِي عِبَادِي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ لم يفظنوا بل لم ينظروا بعين متدبر ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٣) فكلام الله جلّ شأنه هنا هو خطاب للنبي عن أولئك الذين يرغبون في معرفة الله تعالى وكيفية التعامل معه . . لم يوجه الحق سبحانه الخطاب هنا إلى عباده مباشرة ، بل لنبيه الكريم ليبين لأولئك الذين يسألونه بأدب المتعلم مع معرفة قدر المعلم عن كيفية تعاملهم مع الخالق الذي أرسله حيث قال تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي...﴾ فعلى عباد الله التوجه إلى رسول الله وسؤاله ؛ لا تخطيه والتعامل مع الله دونه! فهو الذي يُعرفهم

(١) سورة غافر ، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٨٦ .

(٣) سورة محمد ، الآية : ٢٤ .

بالله ، بآئته يقول عن نفسه ﴿ ... فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ . فالمرجع هو النبي صلى الله وبارك عليه وآله ليعرفهم القرب من الله الذي به يجيب من دعاه فإن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه ولا يجيب دعاء من أكله حرام وملبسه حرام . ولا يقبل الله أحدا إلا عن طريقه لأنه المعلم بل «مدينة العلم»^(١) كما قال هو عن نفسه صلى الله وبارك عليه وآله . وبين الحق ذلك في أمر الذين يظلمون أنفسهم ثم يريدون اللجوء إليه تعالى والاستغفار من سوء ما عملوا في ظلم أنفسهم . فإن من يجيء إلى الله عن طريق حبيبه ورسوله يجد الله تواباً رحيماً . . . ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾^(٢) وفهم مطموسو البصيرة من هذه الآية أيضا ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم استغفروا الله ﴾ لم يتدبروا ولم يروا كلمة ﴿ .. جَاءُوكَ .. ﴾ التي عليها المدار فإن من يذهب إلى المدينة - ولو بعد ارتحال الحبيب إلى الرفيق الأعلى - ويستغفر الله عند مرقدته يختلف أمره عمن يذهب إلى البيت العتيق ويستغفر هناك رغم أن الحسنه هناك بمائة ألف ضعف لأن شرط أن يجد الله تواباً رحيماً مقروناً بالمجيء إلى رسول الله صلى الله وبارك عليه وآله في المدينة لا إلى بيت الله الحرام!!!

(١) مجمع الزوائد .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٦٤ .

قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وحكم الآية باق إلى قيام الساعة لم ينته بارتحال النبي صلى الله وبارك عليه وآله إلى الرفيق الأعلى وإلا لأصبحت من القصص التي تحكى عن عهده وتعامله مع أصحابه كقصص الأمم السابقة .

قال تعالى ﴿... فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي...﴾ فهل استجاب العباد له تعالى؟ وكيف يعرفون انهم استجابوا له إن لم يؤمن النبي على ذلك وهو الذي ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ...﴾^(١) ويصلي عليهم لأن صلاته سكن لهم لأنه حريص عليهم وبهم رؤوف رحيم!! قال تعالى ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾^(٢) وقال عز من قائل في حق أحب خلقه إليه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٣) فهل استجاب العباد لله تعالى؟؟ إن الاستجابة له جل شأنه هي الاستجابة لرسوله حيث قال ﴿... اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...﴾^(٤) كيف يفكر المنقطع بكبريائه ويظن أن علاقته مع الله لا يحتاج فيها إلى النبي المعلم صلى

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦١ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٠٣ .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ١٢٨ .

(٤) سورة الأنفال ، الآية : ٢٤ .

الله وبارك عليه وآله؟ وما أرى هذا إلا ظلم النفس بعينه . والله سبحانه يبين له انه إذا استغفره عند الحبيب لوجده تواباً رحيماً . ألا يعني هذا التوجيه الإلهي عظمة منزلة الحبيب عند الله سبحانه وتعالى بأن جعل أداء عبادته عنده مشروطة بالقبول لا كما تؤدي في أي مكان آخر ولو كان بيت الله الحرام . فلم يستنكف المستنكف عن اتخاذ النبي دليلاً ومعلماً ويقول لا حاجة له به في علاقته بربه؟؟ وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله دعا أحد الأصحاب وكان يصلي فلم يجبه حتى أتم صلاته فسأله النبي عن تلكؤه فقال كنت اصلي يا رسول الله فقال له الحبيب (ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿... اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ...﴾؟^(١) لأن طاعة النبي هي طاعة الله دون تفريق . ومن لم يعط طاعة النبي هذا القدر وهذا الحق فقد خالف الله لأن الله لم يفرق بين طاعته وطاعة النبي محمد صلى الله وبارك عليه وآله واحذر أن تكون ممن انحرفوا عن القصد ﴿... وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ بدعواهم ﴿... وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٢) لذلك لا يمكن لأحد أن يكون طائعاً لله بينما هو مخالف للنبي صلى الله وبارك عليه وآله كالذي لا يقصر في صلاة السفر ويعتقد أن ذلك سنة بينما

(١) سنن أبي داود .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٠ .

هي مخالفة لسنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله ، وهي تعني عدم طاعته ، أي عدم طاعة الله جل شأنه ، فهي إذا معصية وليست عبادة . ولا سنة لأحد مع سنة النبي صلى الله وبارك عليه وآله!!! ولا عبرة بمن بدأ عدم القصر في السفر لأنه قد بدأ أمراً مخالفاً لما شرعه من طاعته طاعة الله وعليه وزرها ووزر من عمل بها!! وكل من يخالف النبي فقد خرج عن طاعته ، وكل من خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة الله ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾^(١)!!

قال تعالى ﴿... وَلِيُؤْمِنُوا بِي...﴾ والإيمان بالله جل شأنه يستوجب الإيمان بكتابه وبرسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ...﴾^(٢) وقد أمر تعالى الذين آمنوا في كتابه العزيز بالتمسك بالنبي صلى الله وبارك عليه وآله وانه المرجعية فلا يأخذون إلا عنه ويتركون كل ما نهى عنه وفوض إليه الأمر كله ، قال تعالى ﴿... وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾^(٣) وحذر تعالى من مخالفته ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ...﴾^(٤) وجعل طاعته طاعته دون فصل بينهما ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٢) سورة الحديد ، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة الحشر ، الآية : ٧ .

(٤) سورة النور ، الآية : ٦٣ .

اللَّهُ... ﴿١﴾ فمن خالف فقد خرج عن طاعته أي طاعة الله جل وعلا . ولا يدعي أحد انه يمكن أن يخالف النبي ورغم ذلك يظل طائعاً لله لأن في هذه الدعوى يكون النبي - عنده - هو المخالف لله ومخالفته للنبي هي طاعة الله!! فينتفي الإيـمان برسول الله وطاعته وينتفي الإيـمان بالرسالة وتنعدم الضوابط والمرجعية ومعرفة الله تعالى . لأنه سبحانه يبين أن طاعة الرسول صلى الله وبارك عليه وآله هي طاعته بينما هذه الحالة تقول إن مخالفة النبي هي طاعة الله كما قالوا في حديث أسرى بدر حيث قالوا إن المخالفة للنبي كانت هي طاعة الله ولا حول ولا قوة إلا بالله!!! وكما قالوا في مخالفة من خالف النبي واعترضه في الصلاة على عبد الله بن سلول انه كانت مخالفته كذلك طاعة لله . وذلك يعني عندهم أن النبي صلى الله وبارك عليه وآله كان مخالفاً لله!! وهذا هو الحال بعينه لأن طاعة النبي لا تنفك عن طاعة الله ، ولا يوجد على وجه الأرض من يحكم بأن النبي خالف ربه لأن كل ما يأمر به ويفعله تجب طاعته فيه من حيث انه طاعة لله فكيف الخروج عليه واعتراضه اعتقاداً بأن طاعته في موقف من المواقف ليست هي طاعة الله؟؟ ومن الذي له الفوقية على النبي حتى يحكم أن النبي في هذه الحالة خالف ربه ولا تجب طاعته ثم يقترح هو غيرها!!!؟

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

ومن هم أتباعه في هذا الفهم ليقولوا لنا إن الله قد غير أمره من طاعة النبي إلى طاعة هذا المقترح الفوقي في ذلك الأمر أو تلك الحالة بنسخ الآية ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ . .﴾^(١) أو يقولوا بنسخ حكمها ليتسنى لهم قبول مخالفة النبي ويقولوا بأنها طاعة لله!!! ثم يقوموا بتعظيم ذلك المخالف للنبي ويقولوا إن الله وقف معه في هذه الحالة وترك النبي بل أخذه لعدم قبوله رأي من خالفه!!! اللهم إنا نبرأ إليك من هذا الاعتقاد وعليك صلاة الله يا رسول الله وعلى ألك الكرام فوالله «ما أؤدي نبي مثلما أوديت» .

إنَّ العمل ابتغاء الأجر هو مقصد الأكثرين من الأمة لظنَّهم أن دخول الجنة إنما يكون بالأعمال لا برحمة الله . والأجير لا يكون مستحقاً للأجر إلا إذا تم العمل بإتقان وإخلاص . فكان من توجيه الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» والإحساس بالسعادة لدى طالبي الأجور يكون عندما يُوفَّى العامل أجره لأنه علامة الرضاء من صاحب الحق ودلالة النجاح والفوز . وإذا كان المحاسب بصيراً فالنجاح عسير ولذلك قيل : «من حوسب هلك» وفي الحديث «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت»^(٢) لأنَّ حقيقة الأعمال - وإن كانت معاملات

(١) سورة النساء ، الآية : ٨٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد .

اجتماعية كالبيع والشراء والنجارة والحدادة والبناء- فيها العوض والأجر الأخروي وتصبُّ في ميزان المسلم صالحةً كانت أو طالحة . وإن صحَّبتُها حسن الخلق فهو أثقل الأعمال في الميزان يوم القيامة . فمن أُعطي أجره فقد غنم وسعد . قال تعالى ﴿... وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ وبعد وفاء الأجر وهو الميزان لا يدخل الجنة أحد إلا بالرحمة ﴿... فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ...﴾^(١) .

وبما أن الفوز هو دخول الجنة ، فقد جعل الله لنا الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله سنداً وذخراً لذلك خاصة للذي يتأرجح ميزانه من كبائر الذنوب . قال صلى الله وبارك عليه وآله «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»^(٢) فاجعلوا يا أحباب النبي أملككم فيه لأنه المنقذ والمنجي لمن وجبت له النار . . ولا تجعلوا أملككم في أعمالكم التي قد تُرفض لِعيب أو عدم إخلاص أو عدم إتيان أو رياء أو لعدم فتح باب القبول لها . . بل اجعلوا أعمالكم كالكبائر عندكم حتى تكونوا ممن يشفع لهم الحبيب . . أدوا أعمالكم إتياعاً للحبيب لا ابتغاء الأجر حتى لا تتعرضوا للحساب لأن طالب الأجر محاسب على عمله ومن حوسب هلك . واللجوء إلى الحبيب صلى الله وبارك عليه وآله يستجلب توبة الله على العبد . قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٥ .

(٢) مسند الإمام أحمد .

إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١﴾ وَحُكْمُ هَذِهِ الْآيَةِ بَاقٍ لَا يَزُولُ وَوَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَمِنْ أَوْفَى بَعْدِهِ مِنَ اللَّهِ؟ وَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ بَارْتِحَالِ الْحَبِيبِ إِلَيْهِ وَالشَّرْطُ بَاقٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ... جَاءُوكَ...﴾. فَمَنْ يَذْهَبُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ وَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ عِنْدَ الْمَرْقَدِ الشَّرِيفِ فَإِنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلَهُ يَسْتَغْفِرُ لَهُ وَيَكُونُ قَدْ اسْتَوْفَى الشَّرْطَ.

إِنَّ ذِكْرَ اللَّهِ مَطْلُوبٌ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَكُلِّ مَكَانٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ وَمَطْلُوبٌ فِيهِ الْإِخْلَاصُ لِلَّهِ، وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الرِّيَاءِ، وَهُوَ الشَّرْكَ الْخَفِيُّ. وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الْعُجْبِ الَّذِي قَالَ فِيهِ الْمَعْلَمُ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلَهُ «لَوْلَمْ تَذَنْبُوا لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنَ الذَّنْبِ الْعُجْبِ» وَالْبِرَاءَةُ مِنَ الْغُرُورِ وَهُوَ حِظُّ النَّفْسِ الْمَفْضِي إِلَى الْكِبَرِ الَّذِي قَالَ فِيهِ الْمَعْلَمُ صَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَآلَهُ «لَا يَدْخُلُ شَيْءٌ مِنَ الْكِبَرِ الْجَنَّةِ»^(٢) كَمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ الذِّكْرُ قَدْ تَمَّ بِاتِّقَانٍ. فِيهِ الْحَدِيثُ «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمَلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يَتَّقَنَهُ» عَلَى أَنْ يَسْبِقَ ذَلِكَ كُلَّهُ نِيَّةٌ صَالِحَةٌ فَقَدْ وَرَدَ «نِيَّةُ الْمَرْءِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ»... وَبَعْدَ ذَلِكَ يَقْدَمُ الْعَمَلُ إِلَى الْمَلِكِ الْعَظِيمِ الْبَصِيرِ جَلَّ جَلَالُهُ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبْرُوتِ إِنْ كَانَ يَلِيقُ بِأَنْ يُقَدَّمَ إِلَيْهِ مِثْلُ هَذَا الْعَمَلِ. وَهُوَ الَّذِي بِحَوْلِهِ

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٢) سنن الإمام أحمد.

وقوّته أديته لا بحولك وقوتك . . فهل أدّيت الشكر في أنه
وفّقك لهذا العمل الذي ليس لك منه شيء بحولك وقوّتك؟؟
أما كان يمكن أن يجعلك جل جلاله من أهل المعاصي
والذنوب؟؟! . . إذن فإنّ رَفَضَ عملك فهو العدل بعينه لأنه لا
حول ولا قوة لك فيه . فهذا العمل الذي تم ولو تم بصورة جيدة
ومتكاملة فهو بين الرد والقبول!!! فالذي يتمسك بعمله ويعتمد
عليه لينجو به فقد وضع نفسه في موقف لا يدري أين ينتهي
به لأنه لو لم يقبله مَنْ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ . . .﴾^(١) فقد
هوى وأمه هاوية . ورفضه تعالى عدل وكل فعله عدل لأنه لا
حول ولا قوة إلا به . فكيف النجاة؟؟

أتقن العمل وأخلص فيه لله وابتعد عن الغرض ثم لا
تطلب أجراً . فإنّ الأجير محاسب ومن حوسب هلك فلا تجعل
نفسك مع الهالكين . . ليكون عملك الذي ترى أنك أتقنته
وأخلصته في معدود السيئات بل من الكبائر حتى تطمئن إلى
النجاة . لأن أهل الكبائر هم الذين يتولى أمرهم من لا يرُدُّ الله
له شفاعَةً فيحول الرسول صلى الله وبارك عليه وآله بينهم وبين
النار . ذلك لأنهم يئسوا من نفع أعمالهم فلم يعتمدوا على
أنفسهم ورأوها في عداد الهالكين والتجأوا إلى الحبيب صلى
الله وبارك عليه وآله الذي قال «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٣ .

أُمَّتِي»^(١) فهم الذين ﴿جَاءُوكَ فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ...﴾^(٢) من أعمالهم صالحة كانت أو طالحة {والذي يرى أعماله صالحة يستغفر من نسبتها إليه لأنه ليس له فيها حول ولا قوة فهو إذن صفر اليدين ولا عمل له!! فالإلى من يلجأ؟؟ يقول أدعياء التوحيد يلجأ إلى الله . ولكن الله إذا أحببت أن تجده تواباً رحيماً فالجأ إلى من أراك أن تجيء به إليه ليستغفر لك ، لتجده تواباً رحيماً . وأما إذا جئته بنفسك - دون حبيبه - فقد تجده جباراً منتقماً شديد العقاب . فأراد الله أن يطلبوا غفرانه وتوبته عن طريق مجيئهم إلى الرسول صلى الله وبارك عليه وآله فيستغفروا الله عنده - لا عند بيته الحرام - ويسأله أن يستغفر لهم . ولو اتبعوا هذا المنهج وسلكوا هذه الطريقة فإن الله وعدهم بأن يجدوه كما يحبون تواباً رحيماً . قال تعالى ﴿... وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ الرِّسُولُ لَوْ جَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(٣) . فإن لم يتيسر لك الذهاب إلى المدينة فاطلب ممن ترى فيه الصلاح ليستغفر لك ذنوبك . فقد قال إخوة يوسف ﴿... يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا...﴾^(٤) .

لقد ضمن أهل الكبائر الشفاعة بالنص «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ

(١) مسند الإمام أحمد .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٦٤ .

(٣) سورة النساء ، الآية : ٦٤ .

(٤) سورة يوسف ، الآية : ٩٧ .